

كلمة التحريير

غَنُوا كما شئتم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله - وبعد:

فإنه مما يحز في نفس المسلم أن يرتكب إنسان خطأ ما، ثم يدافع عن نفسه بأن خطأه هذا لا يتعارض مع الدين ... ثم ينتقل إلى مرحلة أخرى يصف فيها المعارضين على هذا الخطأ بأنهم أصحاب فكر متحجر.

في إحدى المجلات الأسبوعية أجرى حديث صحفي مع المطربة بنت الشيخ الحصري بمناسبة إعلانها عن التزامها الحجاب مع تمسكها بالغناء. وقيامها بالغناء أو امتناعها عنه ليس قضيتنا بل هو شيء يخصها وإنما الذي نلفت النظر إليه قيامها بالإفتاء في أمور الحلال والحرام والظهور بمظهر الدارس لدين الله دراسة مستفيضة كقولها (أتحدى أن يأتي أحد بنص قرآني أو حديث يحرم الغناء حتى العاطفي منه) أو قولها (أنا أعرف أن الغناء حلال وأكثر من رجل دين جليل طمأن قلبي ... وأنا أرفض الوصاية من أصحاب الفكر المتحجر والذين يلجئون لأحاديث مجهولة النسب لإرهابنا) فهل هي مؤهلة إسلامياً لتقول مثل هذا الكلام .. أم أنه الغرور الذي يسيطر على أمثال هؤلاء...؟

إنها تكشف عن علمها بدين الله فتقول (لقد منحني الله صوتاً جميلاً ورثته عن أبي وبداخلي قناعة أنني أحمل بعض المواهب التي تجعلني مؤهلة لأن يكون لي خط واتجاه وتأثير في الحياة .. ولم أخلق لكي أنزوي وينتهي عالمي عند عتبة البيت). ألا يعد ذلك اعتراضاً على قول الله تعالى (وقرن في بيوتكن) فالأصل في

الإسلام أن المرأة مكانها البيت ويسمح لها بالخروج لأسباب كالعمل فى ظروف محددة ليس هذا المقال مجالاً للحديث عنها ... وبالتأكيد فإن الغناء ليس من الأسباب الداعية لخروج المرأة من بيتها حتى تعترض على بقائها فى البيت لأن الله منحها صوتاً جميلاً كما تقول.

وتظل تكشف عن علمها الغزير بدين الله فتتحدث عن جمال صوتها وحلاوته فتقول (وسوف يسألنى الله عن حسن استغلالى لصوتى «ولتسألن يومئذ عن النعيم» والصوت الجميل كان وسيلة من وسائل الدعوة للأديان. وصوت سيدنا داود كان جميلاً. والزبور كان حكماً ومواعظ ولم يكن أوامر ونواهى فكان سيدنا داود يغنى بصوته الجميل ما جاء بالزبور...).

وهكذا تفسر قول الله تعالى «ثم لتسألن يومئذ عن النعيم» بأن الله تعالى سيسألها عن صوتها الجميل إذا لم تقم باستغلاله فى الغناء بمعنى أن الغناء هو طريقها إلى مرضاة الله عز وجل وامتناعها عن الغناء يعتبر وزراً من الأوزار التى ستحاسب عليها. وليس هذا التفسير افتراء عليها فقد أكدت ذلك فى نهاية حديثها حيث قالت بالنص (وخلاصة القول أنى تحجبت ولن أعتزل وأنا بهذا أتقرب إلى الله)

ولو كان صوت المرأة الجميل وسيلة من وسائل الدعوة للأديان - كما تقول - فلماذا لم يسمح الإسلام للمرأة أن تؤذن للصلاة ..؟ ولماذا غاب عن رسول الله ﷺ أن يأتى بالمطربات والمغنيات ليؤثرن فى الناس بدلاً من خطبه صلوات الله وسلامه عليه ..؟ ولماذا لم نسمع أن جهازاً من أجهزة الدعوة الرسمية فى أى بلد كالأزهر أو الأوقاف قام بإسناد مهمة الدعوة للمغنيات والمطربات..؟

وتستمر فى الكشف عن علمها الغزير بدين الله فتتحدث عن الأذنين وتقول إن المفروض فى الحجاب ألا يظهر الأذن. وهذه تسبب لها مشكلة حقيقية ... إذ كيف تتصرف فى القرط الماسى: هل تمنحه لأخرى أم تلبسه فى البيت ..؟ وتجبب موضحة أنها إذا كان عندها شئ جميل ذو قيمة كبيرة كالقرط الماسى فلا مانع أن

تظهر أذنيها وخاصة أنها شخصية عامة وتحب أن تظهر بمظهر جميل. ثم تضيف قائلة (وأیضا من باب التحدث بنعم ربنا) بمعنى أن القُرط الماسی يجب أن يظهر فی أذنيها للناس تحدثا بهذه النعمة حتى وإن كان إظهار الأذن يتعارض مع الحجاب.

ويتوالى تدفق العلم الغزير فتصرح أنها بعد الحجاب تغير منهجها فقد كانت قبله تستعمل الروائح النفاذة (البارفان) عند خروجها. أما بعد الحجاب فإنها تستعمل عند خروجها (الكولونيا) لأنها - على حد قولها - ليست حراما. ذلك مع أن رسول الله ﷺ حذر من خروج المرأة متعطرة أيا كان نوع العطور التي تستعملها.

أما فی مسألة تغيير خلق الله التي يسمونها (الماكياج) فإنها قد أفقت بضرورة استعماله من باب (فتوى المضطر) إذ أنه لا يمكن الظهور على المسرح بدون (ماكياج) وخاصة لو كان هناك تصوير لأن الإضاءة الشديدة مع الكاميرا تظهر مسام الوجه مما يؤدي إلى أن يكون وجهها قبيح الشكل.

ولعل كل هذا العلم الغزير بدين الله وما أوردته في كلامها من مغالطات يتضاءل أمام الصورة المنشورة لها مع الحديث وهي تجلس إلى (البيانو) وتمسك بيدها مصحفا، وتحت الصورة عبارة تقول (مع المصحف والبيانو ... فلا تحريم إلا بنص لذلك لن أعتزل الفن) وهكذا يتساوى في نظرها البيانو كآلة موسيقية مع كتاب الله عز وجل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ...!



أما عن حكم الغناء والموسيقى في الإسلام فإنني أنقل للإخوة القراء بعض ما ورد عنه ليحيى من حى عن بينة ويهلك من هلك عن بينة:

١ - ذهب جمهور المفسرين الى أن صوت إبليس في قول الله تعالى «واستفز من استطعت منهم بصوتك» هو الغناء واللغو. ذكره ابن جرير الطبري إمام المفسرين.

٢ - سئل عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن قول الله تعالى «ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير

علم» فقال «هو الغناء والله الذى لا إله إلا هو» وكررها ثلاثا. كما ورد عنه أنه قال «الغناء ينبت النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل».

٢ - قال صاحب كتاب (عمدة القارى شرح صحيح البخارى):
«قال القرطبى أما الغناء فلا خلاف فى تحريمه لأنه من اللهو واللعب المذموم بالاتفاق ... ومذهب أبى حنيفة تحريمه، ومذهب الشافعى كراهته، وهو المشهور عن مالك» إلى أن قال «وقال بعض مشايخنا مجرد الغناء والاستماع اليه معصية».

٤ - قال رجل لابن عباس: ما تقول فى الغناء، أهو حلال أم حرام؟ فقال: لا أقول حراما إلا ما فى كتاب الله. فقال: أفضلال هو؟ قال: لا أقول ذلك. ثم قال له: رأيت الحق والباطل إذا جاء يوم القيامة فأين يكون الغناء؟ فقال الرجل: يكون مع الباطل. فقال له ابن عباس: اذهب فقد أفتيت نفسك. قال ابن القيم بعد حكاية هذا الأثر: فهذا جواب ابن عباس عن غناء الأعراب الذى ليس فيه مدح الخمر والزنى واللواط والتشبيب بالأجنبيات وأصوات المعازف والآلات المطربيات، فإن غناء القوم لم يكن فيه شيء من ذلك، ولو شاهدوا هذا الغناء لقالوا فيه أعظم قول، فإن مضرت وفتنته فوق مضرة شرب الخمر وأعظم من فتنته، فمن أبطل الباطل أن تاتى شريعة بإباحته ..

٥ - كان الإمام أبو حنيفة رحمه الله يرى أن الغناء من الذنوب التى يجب تركها والابتعاد عنها والتوبة منها فورا كسائر الذنوب والمعاصى. وقد صرح أصحابه بحرمة الغناء وآلات الطرب وقالوا إن الغناء معصية توجب فسق صاحبها وترد شهادته. وقال أبو يوسف: إذا سمع المؤمن صوت الملهى والمعازف فى دار وأمكته أن يغير هذا المنكر فعل ...

٦ - والإمام مالك رحمه الله أثر عنه النهى عن الغناء وعن الاستماع إليه. ومن الأحكام الفقهية التى قررها أن الرجل إذا اشترى جارية ثم تبين له أنها مغنية كان من حقه أن يردّها لبائعها بالعيب الذى ظهر فيها.

٧ - والإمام الشافعي رحمه الله ذكر في كتاب «أدب القضاء» أن الغناء لهو مكروه يشبه الباطل والحال. ومن استكثر منه فهو فاسق ترد شهادته.

٨ - والإمام أحمد بن حنبل رحمه الله قال إنه من غير المشكوك فيه تحريم الملاهي عامة غناء كانت أو ضرباً على عود أو مزمارة أو غير ذلك. ومن المنصوص عليه في كتب أصحابه كسر آلات اللهو والضرب إن أمكن كسرها لأنها من المنكر الذي يجب تغييره وإزالته.

٩ - أجمع سلف هذه الأمة وفقهاؤها على أن سماع صوت المرأة الأجنبية مع التلذذ به حرام ولو كان بالتهليل والتكبير. وإذا كان الله تعالى يقول «فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض» وهو عز وجل يعنى بهذا القول العادي ... أفلا ينطبق ذلك على القول بأنغام الموسيقى...؟!.

١٠ - أما ما ورد في الصحيحين عن عائشة أنها قالت: «دخل أبو بكر وعندي جاريتان من جوارى الأنصار، تغنيان بما تقاولت الأنصار يوم بعثت. قالت: وليستا بمغنياتين، فقال أبو بكر: أمزامير الشيطان في بيت رسول الله ﷺ؟ وذلك في يوم عيد. فقال رسول الله ﷺ: يا أبا بكر إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا» فإذا كان الذين يبيحون الغناء يستدلون به فإننا نرد عليهم بما يلي:

أ - هذا الغناء كان من جاريتين أي من فتاتين صغيرتين.

ب - الجاريتان ليستا من المطربات المحترفات لقول عائشة رضي الله عنها (وليستا بمغنياتين).

ج - الكلمات التي تغنت بها الجاريتان لم تكن كلمات خليعة وإنما كانت أشعاراً قيلت يوم «بعثت» وهو اسم حصن وقعت الحرب عنده بين الأوس والخزرج. فهي أشعار تتحدث عن البطولة والشجاعة والحرب.

د - لم تكن هناك فرقة موسيقية تصاحب الجاريتين.

هـ - كان هذا الغناء في يوم عيد.

البقية صفحة (٥٦)

نفحات قرأه

بقلم: بخارى أحمد عبده

وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون

فى معية هذه الآية الكريمة غدونا نستنفج، ورحنا نستهدى، فتداعت المعانى، واعتنقت الآيات كالنور يعتنق النور وتجاوبت النفحات.

وكانت المحصلة: أن المؤمن وديع وداعة الحمل، يسالم - إذا ألقى إليه السلم - مسالة الحمامة، ولكنه ينطوى على بركان هاجع، يثور ثورة عارمة إذا انتهكت حرمة الدين، أو أهدرت كرامة الإسلام، أو تنومر على القيم، والمقدسات، أو حوّل وأد معالم الشخصية المسلمة، أو تهجم على مقام الرسول الكريم^(١).

المسلم ذليل، عزيز، رحيم، شديد، هين، لين، وصلب منيع. إنه يلبس لكل حالة لبوسها. هو بحكم استقائه، وأرتوائه من ينابيع الإسلام الثرة ممتلئ سكينه، وسماحة، وأناة، ورحمة، ورفقا، وحلما

من الأشفية الرحمانية

ولقد روى مسلم عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال لأشج عبد القيس: إن فيك لخصلتين: الحلم والأناة.

ورسول الله ﷺ إذ يعزل هاتين الخلتين عن سائر الفضائل الأخرى التى يتمتع بها أشج عبد القيس، وإذ يجردهما، ويرفعهما

(١) وقد فعل ذلك (سلمان رشدى) وصفت له انجلترا، ولا يزال كتابه يتقلب فى الأسواق، ويدر على صاحبه الملايين والمؤسف احتواء المسلمين لهذا الأمر الخطير، وإهماله بدعوى التحضر، وحرية الفكر، والأدهى نسيان المسلمين لهذا العدوان الخطير بعد ثورة فى فنجان، والأمر من هذا تنديد بعض المسلمين بإيران بدعوى أنها غالت وبالفت وأعطت الأمر فوق ما يستحق

عبر المسامع، والأنظار، إنما يفعل ذلك إشادة بالخلتين، وتنبيهها إلى خطورتها، وأثرهما العظيم فى الحياة، وإغراء للأمة أن يعضوا عليهما بالنواجذ.

فالخلتان - فوق كونهما حلية، وزينة - لبوسان، درعان، وشاحان ينمان عن تجربة، وحكمة. ويورثان الهيبة، ويكفلان السداد، ويمنعان الرعونة، والطيش، والزلل.

ولقد أثر أن الأناة من الله، وأن العجلة من الشيطان، وأن الاندفاع، والتهور مَرَكَبُ الشطط، والزلل، والخسار.

والقرآن يصنع بهدياته المسلم كى يكون دائما فوق دوامات الجبلية. يَغْذُوهُ بالقيم، ويأسوه بالأشفية الرائدة التى تهب البصيرة، وتحمل على الرفق، وتولد الحكمة، وتقرب المسافة بينه، وبين الناس.

يغذونا، ويخفف من حدتنا، ومن سَوْرَةِ نَزْعَةِ حُبِ الْإِنْتِصَافِ
فيينا بمثل: -

١- «وجزاء سيئة سيئة مثلها، فمن عفا وأصلح فأجره على الله...» الشورى ٣٩

٢- «ولمن صبر، وغفر، إن ذلك لمن عزم الأمور» الشورى ٤٣.

٣- «ادفع بالتي هى أحسن، فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم» فصلت ٢٤

٤- «وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين» النحل ١٢٦.

وفضائل العفو، والصبر، والغفران، والدفع بالتي هى أحسن توظف لمصلحة الدين، والدنيا.

أما الدين فلأنها شمائل أمر بها الله فامتثلنا، والتزمنا وحملنا أنفسنا على الصعب. والمشتملون بهذه خلال أئمة وقدوة حسنة تحقق فى مجال الدعوة أكثر مما يحقق القلم واللسان. فهذه خلال الجذابة تشكل عنصر الدعاية التى لا بد منها للإسلام.

وأما الدنيا فلأن تعاقب الفعل، ورد الفعل يذهب برواء الحياة، ولذة العيش. والاحتكاك من أجل الاقتصاص يولد فى الخصوم

تحفزا، ورغبةً في رد الصاع صاعين، وهكذا ندور في حلقة مفرغة.
والصبر، والعمو يكسران شرة العناد، وينضدان أشواك الجبلة
فتطيب الحياة، ويستتب الأمن.

آخر الدواء الكى

وأسلوب المسألة قد لايجدى، بل قد يطغى أقواما، ويزيد الطين
بلة. وعندئذ نذكر أن الله أرسل رسله بالبينات، وأنزل معهم
الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط، وأنزل الحديد فيه بأس
شديد.

ونستحضر قوله سبحانه: «إن بطش ربك لشديد، إنه هو يبدئ،
ويعيد، وهو الغفور الودود»

ونستعيد حديث رسول الله «وإن الله أمرنى أن أجرق
قريشا....»

بيد أن العالمين مرضى - إلا من رحم الله - بأمراض نفسية،
وعضوية، تستشرى فتمثل وباء

وإذن فلا بد من طب. ولقد علمنا رسول الله فيما رواه البخارى
عن ابن عباس أن الشفاء فى ثلاث فى شرطة محجم، أو شربة
عسل، أو كية بنار، قال «وأنا أنهى أمتى عن الكى»

وظنى أن كية النار قد تتحتم فى كل الأمراض: العضوية منها،
والنفسية، والقلبية.

والرسول ﷺ حسم، وكوى - رغم النهى - حين تعين عنده ذلك.
ولابد مما ليس منه بد.

كوى أبى بن كعب، وسعد بن معاذ يوم أصيبا فى أكحليهما، وفق
مارواه الإمام مسلم عن جابر.

فالقلوب المعتلة المختلة تؤسَى بالكلمة الصاعدة، والقول البليغ
المؤثر، وتساس بالقول اللين، ومعسول الكلام وتلذد^(١) بالحكمة
والموعظة، والصبر الجميل، والدفع بالتى هى أحسن.

(١) تلذد بالبناء للمجهول يُصَبِّب الدواء فى أحد شدقيه . بملقعة ونحوها.

فإن ازدادوا تنمرا، وعدّوا، وبغّوا، وصدّوا، فالفيصل الكى
إعمالا للحديث «وإن الله أمرنى أن أحرق قريشا. فقلت يارب إذن
يثلغوا رأسى فيدعوها خبزة. قال: استخرجهم كما أخرجوك،
واغزهم نُغزك، وأنفق فسننقق عليك وابعث جيشا نبعث خمسة
مثله، وقاتل بمن أطاعك من عصاك» (مسلم)

إن التدخل الجراحى الحاسم هو وحده العلاج مما يعانيه المسلمون
فى المشارق، والمغرب.

وإغفال هذا المنطق تعطيل لسنن الله الذى يدفع الناس
بالناس، وَيَقْلُ الحديد بالحديد، لا بالحوار. وإهدار لأوامر المولى
الذى يقذف بالحق على الباطل [فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب
الرقاب، حتى إذا أثنختموهم فشدوا الوثاق. فإما منا بعد، وإما
فداء، حتى تضع الحرب أوزارها، ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم
ولكن ليبلو بعضكم ببعض.....] محمد ٥

والآية الكريمة هذه كائن فعال فى بيئة تقذف الحق على الباطل،
وتدمغ الضلال، وتحبط الأعمال القائمة على الهوى، المتفتقة من
قلوب طبع الله عليها.

صورت آيات البيئة كل ذلك، وغير ذلك تصويرا يُحمّل المؤمنين
مسئولية شكم الضالين المتمردين.

وإيحاء بأن المجاهدة بين الذين اهتدوا، والذين بغوا واعتدوا،
لا بد فيها من تدرع المؤمنين بالعقيدة، وانطلاقهم من قاعدة
التوحيد تخلل آيات البيئة قول الله: - «فاعلم أنه لا إله إلا
الله...».

ولأن التصدى للبغاة المتمردين ملحمة يمكن أن تُسفر عن نقص
فى الأموال، والأنفس، والثمرات، عقببت السورة بما يفيد حتمية
الجهاد، وضرورة الابتلاء، وسجلت أن أعمال أولئك - وإن جلت -
مصيرها الخسار، وأن أعمال المؤمنين وإن قلت، مآلها المضاعفة،
والقبول. «ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم، والصابرين ونبلو
أخباركم. إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله، وشاقوا الرسول
من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئا، وسيحبط
أعمالهم» «إن الذين كفروا، وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم
كفار فلن يغفر الله لهم» محمد .

وإذا كانت العاقبة فى الدنيا والآخرة للمؤمنين المجاهدين، وإذا كانت معية الله حصنهم، وولايته درعهم، فلا داعى، ولا مبرر لوهن، أو هوان واستخذاء أو رضا بالدون، وإعراض عن المرابطة. ذلك إحياء قول الله: - «فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم، وأنتم الأعلون، والله معكم، ولن يتركم أعمالكم، إنما الحياة الدنيا لعب، ولهو ...»

فإذا كانت المرابطة، والمصابرة قدر هذه الأمة المحتوم، فإن فى العطايا التى حفلت بها سورة محمد حوافز تهون معها التضحيات. وهل جزاء أوفى مما ذكر فى الآيات: - «كفر عنهم سيئاتهم، وأصلح بالهم» «سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة...» «إن تنصروا الله ينصركم ...» «ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا ...» «مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى ... الخ

وإذا قوبلت هذه المنى الموعودة بما حفلت به السورة من كوارث، وأرزاء، تنتظر الآخرين، زادت قيمة ما رزقوا من نعيم، وعلت درجة تلذذهم، واستمتعهم بما أوتوا. وبهذا يجمع الله لصفوته نعيمين: نعيم الإيجاب الكائن فى التنعم بما أتيح لهم، ونعيم السلب الكائن فى سعادتهم بنجاتهم من ذلك المصير المشنوم الذى يشقى به الآخرون.

واتساع دائرة البلاء، وشموليته تتجلىان فى قول الله «وهو الذى جعلكم خلائف الأرض، ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم ..» ولقد أوتينا: العقل، والعلم، والمال، والصحة، والأهل، والأولاد، والمنصب، والسلطة، والخلافة، والجاه، والأخوة، والأصدقاء ... الخ وأوتينا القرآن، والسنة، وبلينا بكل التكاليف الشرعية ... أوتينا الدين، والدنيا، وحبينا بنعم لا تحصى فتنة، وامتحانا.

والفتنة الكبرى هذا القرآن العظيم الذى اتخذناه مهجورا، محدود المد، باهت الإرسال، معطل القوى، مقيد الخطا بطى الحركة هو المصباح، والمرقاة، والعدة، والقوة، والحياة والغاية والوسيلة.

عباد الرحمن هم الرجاء

والآية [وجعلنا بعضهم لبعض فتنة] نفحة فرقانية كريمة وسورة الفرقان - وإن اختلف في مكيتها - تحمل طابع قرآن مكة، وتفوح من أعطافها أرواح العقيدة .

وآياتها تتحور^(١) حول التسرية عن الرسول، والتربوية من أجل الصمود، والتعريف بجلال المعبود وإنذارهم أهوال اليوم الموعود، وتحذيرهم مثل وقائع الله في فرعون، وأصحاب الرس، وعاد وثمود، والتنديد بمجرمين عموا وصموا رغم الآلاء، والآيات البينات، ثم رفع صورة نموذجية لعباد الرحمن تنطق بخلالهم، وتُفصح عن أحوالهم، وسمو مقاماتهم (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما).

فكان هؤلاء النموذجيين هم المهينون لمواجهة البشرية المتمردة المتعنتة، التي تتناول في قحة، وتجادل - في فظاظة - بالباطل، وتردد في بلاهة إحياء الشياطين صائحين:

[إن هذا إلا إفك افتراه] [أساطير الأولين أكتبتها] [إن تتبعون إلا رجلا مسحورا] [أهذا الذي بعث الله رسولا، إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها ...] [لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا ..] [مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا. أو يلقي إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها ...] [لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة] [وما الرحمن].

هكذا ابتلى رسول الله بالجهلة المفتونين فاستمسك بالذي أوحى إليه، وصبر، وغفر، مُمْتَثِلاً أمر رب العزة الصبور، الذي يرزق، ويعافى المشركين [واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا، وهم يخلقون، ولا يملكون لأنفسهم ضرا، ولا نفعا، ولا يملكون موتا، ولا حياة، ولا نشورا] الفرقان.

إن الله يُعَلِّي للمتلبسين بالشرك جليله وخفيه «وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون».

والشرك الخفى عمل لغير الله وشهوة خفية . هو إيمان ينخر جوفه الهوى، والرياء، والأثرة، والاستكانة، والخنوع للجبارين، والنفاق، والملق، والعمالة، والفردية الصفراء الخ

(١) تتمحور : المراد تدور .

والشرك الخفى أشد التحاما، وتمكنا من ضحيته، وأشد مضايقة بل خنقا للآخرين من الشرك الجلى، ذلك لأن اتخاذ الأنداد لله، وإسقاط صفات المولى، وإلقاء مثل قداسته على غيره سبحانه، خيالٌ، وجهلٌ فوق أن الواقع فى الشرك كأنه يسبح ضد تيار الفطرة. فإذا استنقذ بالعلم، ووجه بالأدلة، وعرف بالله رب العالمين اهتز عوده، ووجوده، وتمطت فطرته مبشرةً بيقظة. وموالاته، وتقليبه مرة من بعد مرة يجعلانه ألين عريكة، وأسلس قيادا، وأكثر رشدا. هكذا حتى يفك الارتباط بينه وبين الأنداد بلا نزييف ولا آم.

إلا أن يمنعه من الأوبة إلى حظيرة الفطرة علل منبتها، ومرتعها مراحيض الشرك الخفى من: - هوى وشهوة، واستكبار، ومأكلة، وحسد، وانتهازية الخ

أما الشرك الخفى فإنه يختلط اختلاطا بالكيان كله، ويسرى خلاله سريان السم فى الأوصال فلا يصميه من يرميه، ولا يجدى معه علم ولا برهان. كيف وهو عواء جملة من الذئاب فى الأعماق؟ ولذلك كان أشد إزعاجا للمخاططين من الشرك الأكبر. وصرعى هذا الشرك كضحايا ذلك الشرك يعافيههم الله، ويرزقهم، ويرحمهم الخ.

ويبتلى بهم إذ يُفدق عليهم، ويمكن لهم، ويمركزهم مواقع تأثير، ومراكز قوة، وحل، وعقد، ويجهل لهم بريقا، وجاذبية كاذبة يُفتنون فيه، ويفتنون به، كالنار تجذب أصحابها إليها بما حُفَّت به من شهوات.

أولئك هم السابلة، رفقاء الطريق الذين تفتن بهم فى كل يوم مرة، أو مرتين، أو مرات ومن هؤلاء الذين لايشبعون مهما أكلوا، تتخذ العملاء، وتُصنطع الصنائع، ومنهم يُجرد الشيطان كلابا مسعورة تنهش، ومنهم يُجند الأعداء غلمانا يطوفون بالشعارات، وبالمباخر التى تنفث الخدر، فتشيع السكرة وتكثف الغيبوبة وتفسح للصوص مجال السلب والنهب.

هم الخطام (١) فى أنوف البعران (٢) وهم الخطم (٣). وهم الرحآل على ظهور الجمال و«البرازع» فوق الحمير فما أشقانا، وما أشد فتنتنا بمستنقعات الشرك الخفى!

بخارى أحمد عبده

(١) الخطام : ما يوضع فى أنف البعير ليقاد به

(٢) البعران : جمع بعير

(٣) الخطم : المصيبة الفادحة .

باب السنة

يقدمه فضيلة الشيخ محمد على عبد الرحيم

الرئيس العام للجماعة

وجوب متابعة الإمام وتحريم السبق عليه

ولمحة من دلائل النبوة للرسول ﷺ

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: (قال رسول الله ﷺ ذات يوم، وقد انصرف من الصلاة فأقبل علينا فقال: يا أيها الناس إنى إمامكم، فلا تسبقونى بالركوع، ولا بالسجود، ولا بالقيام، ولا بالقعود، ولا بالانصراف. فإنى أراكم من أمامى، ومن خلفى. وأيم الذى نفسى بيده لو رأيت ما رأيت لضحكتم قليلا، ولبكيتم كثيرا. قالوا: يارسول الله وما رأيت؟ قال رأيت الجنة والنار) أخرجه البخارى وغيره واللفظ لأحمد.

تعريف بالرووى

أنس بن مالك رضى الله عنه:

سبق أن ترجمنا له أكثر من مرة، ونعيد ترجمته باختصار لمن لم يقرأ الأعداد الماضية من المجلة:

هو أنس بن مالك بن النضر - الأنصارى الخزرجى - ولما قدم النبى ﷺ المدينة المنورة كان عمره عشر سنين. فخدم النبى ﷺ مدة إقامته بالمدينة وهى عشر سنين، وكان أنس يُعرف بخادم النبى ﷺ، وكان هو يفخر بذلك..

وأمه أم سليم رضی الله عنها، قالت يارسول الله: خادمك أنس: ادع الله له فقال (اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما أعطيته).
 وحصلت له بركة دعاء النبي ﷺ، فعاش أكثر من مائة سنة، ورأى أولاد أولاده الذين جاوزوا المائة وهو آخر من مات من الصحابة رضی الله عنهم وروى عن رسول الله ﷺ نحو ١٢٨٦ حديثاً. فهو أحد المكثرين لحديث رسول الله ﷺ.

معانى المصردات

فلا تسبقونى: لأن الإمام يُقتدى به، ولأن المأموم تابع والتابع لا يسبق المتبوع ولا يخالفه وهذه المتابعة واجبة.
 السبق بالركوع: لا يركع المأموم قبل الامام، ولا ينحني إلا بعد تمام انحناء الإمام.
 السبق بالانصراف: يحرم انصراف المأموم من الصلاة قبل الإمام وإن فعل عمدا بطلت صلاته.
 وأيم الذى نفسى بيده: يميناً بالله الذى يملك النفوس وهو الله تعالى

المعنى

الإسلام دين ترتيب ونظام، فجعل الله صلاة الجماعة مرشداً لتنظيم الصفوف، كما أنها تعود المسلمين طاعة الرؤساء ويتمثل ذلك فى اتباع المأموم للإمام. فإذا ركع الإمام ركع المأمومون، وإذا سجد سجدوا.

كما أن تسوية الصفوف فى الصلاة، واتجاه الجميع الى جهة واحدة وغرض واحد، يمثل أعلى درجات النظام.

هذا إلى المساواة بين الناس، لأن الغنى يقف بجانب الفقير، والعظيم بجانب الحقير، فتتساوى فيها الرؤوس، ويشعر الناس بأنهم سواسية كأسنان المشط.

وخلال هذا الموقف لله تعالى ينسى الناس مظاهر التفاوت بينهم من مال أو صورة أو جاه. كما يتمثل في الجماعة معنى الوحدة بين المسلمين، والتدريب على المواقف المختلفة تحت إمرة قائد واحد.

ولا يخفى أن صلاة الجماعة تفرس فضيلة التواضع بين الناس، لأن المأمومين يتبعون الإمام مهما كانت حالته الاجتماعية. فقد يكون الإمام أقل منهم مالا أو جاها، أو عزا، أو سلطانا.

من أجل ذلك شدد الإسلام على وجوب اتباع الإمام، وتوعد بأشد العقوبات لمن يسبق الإمام. ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال (أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام أن يحول الله رأسه رأس حمار)؟

وقال الإمام أحمد: ليس لمن سبق الإمام صلاة. وروى أن ابن مسعود نظر الى من سبق الإمام فقال: لا وحدك صليت، ولا بإمامك اقتديت.

غير أن المأموم لو صدر منه ذلك ساهيا أو جاهلا، لم تبطل صلاته ويجب إرشاده بعد الصلاة إلى أن من فعل ذلك فلا ثواب له.

وروى البخارى عن أنس (أن النبي ﷺ قال: إنما جعل الإمام ليؤتم به، فلا تكبروا حتى يكبر، ولا تركعوا حتى يركع، ولا ترفعوا حتى يرفع) كما تجب المتابعة في الانصراف من الصلاة بالسلام كما جاء في الحديث الصحيح (تحريمها التكبير، وتحليلها التسليم).

كما تناول الحديث علامة من علامات النبوة، وهى أن الرسول ﷺ، يرى المأمومين من وراء ظهره، وقيل إنه يرى عن يمينه وعن يساره ممن تدركه عيناه.

ولكن الصواب أن هذا الإبصار إدراك حقيقى خاص به ﷺ انخرقت له فيه العادة. فعن أحمد رحمه الله تعالى (انخرقت له العادة فيه).

والذى اختاره ابن حجر فى الفتح: أن المراد بالرؤية: الإبصار. قال وظاهر الحديث أن ذلك يختص بحالة الصلاة فقط. ونقل عن

مجاهد أنه ﷺ كان يبصر فى الظلمة كما يبصر فى الضوء. وقال القرطبى: إن ذلك زيادة فى كرامة الله للرسول ﷺ .

ثم أقسم الرسول بقوله (وأيم الذى نفسى بيده) أى يمينا بالله الذى نفسه بيده جل شأنه - وهذا القسم لمزيد التأكيد، وإن لم يكن عند السامع شك. فدل ذلك على جواز الحلف لتأكيد الأمر.

وقال ابن القيم فى إعلام الموقعين: قد أمر الله نبيه أن يحلف على ثبوت الحق الذى جاء فى ثلاثة مواضع من كتابه. أحدهما قوله تعالى (ويستنبئونك أحق هو؟ قل إى وربى إنه لحق) آية ٥٢ من سورة يونس. الثانى قوله تعالى (وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة، قل بلى وربى لتأتينكم) الآية ٢ من سورة سبأ

وأما رؤيته ﷺ للجنة والنار كما جاء فى الحديث، يؤيدها ما جاء فى صحيح البخارى من حديث أنس. قال ﷺ : (لقد رأيت الآن منذ صليت لكم الجنة والنار ممثلين فى قبلة هذا الجدار. فلم أر كاليوم فى الخير والشر) أى رأيتهما مصورتين فى جهة هذا المسجد المقابل لوجهه فى الصلاة ساعتئذ.

وروى البزار من حديث عبد الله بن الزبير رضى الله عنه مرفوعا (أن رسول الله ﷺ مر بقوم وهم يضحكون. فقال: تضحكون؟ وذكر الجنة والنار بين أظهركم. قال فما رضى أحد منهم ضاحكا حتى مات. قال: ونزلت الآية: (نبيئ عبادى أنى أنا الغفور الرحيم، وأن عذابى هو العذاب الأليم) الآيتان ٤٩-٥٠ من سورة الحجر.

نسوق هذا القول إلى أولئك الذين يمرحون ويضحكون، وهم عن الآخرة غافلون ونوجه النصح إلى أولئك الذين يشهدون الفرق التمثيلية المضحكة. فقد جاء فى الحديث الصحيح (وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله يضحك الناس، يهوى بها فى النار كذا خريفا).

وأخرج الإمام أحمد من حديث أنس عن رسول الله ﷺ أنه قال لجبريل (مالى لا أرى ميكائيل ضاحكا؟ قال: ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار).

وأما ما يقرب إلى الجنة: فالخشية من الله، والبكاء على الخطيئة فقد أخرج الترمذى من حديث ابن عباس (عينان لاتمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس فى سبيل الله). وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة فى السبعة الذين يظلهم الله يوم القيامة فى ظله يوم لا ظل إلا ظله: (ورجل ذكر الله فى خلاء ففاضت عيناه)

ما يستفاد من الحديث

- ١ - تحريم سبق المأموم للإمام فى ركوعه وسجوده وسائره أفعاله
- ٢ - بيان باب الدخول فى الصلاة وباب الخروج منها: فتكبيرة الإحرام باب الدخول والتسليم هو باب الخروج.
- ٣ - دخول المصلى فى الصلاة بتعظيم الله ومناجاته، والتخلى عن الشواغل وقطع جميع العلائق إلا التعظيم والإجلال لله، ولفظ التكبير يستحضر فيه القلب ليستشعر هذه المعانى.
- ٤ - افتتحت باسم الله، فدخل المصلى فى الصلاة باسمه تعالى وخرج منها باسمه لأن السلام اسم من الأسماء الحسنى.
- ٥ - سبق الإمام سنهوا لا يبطل الصلاة أما إن كان عمدا متكررا فتبطل الصلاة ويأثم المصلى.
- ٦ - فى الحديث من دلائل النبوة اطلاع رسول الله ﷺ على الجنة والنار ولو علم الناس ما يعلم أو رأوا ما رأى لقل سرورهم وكثر بكاؤهم من خشية الله.
- ٧ - ومن دلائل النبوة أيضا أنه ﷺ يرى المأمومين من ورائه كما جاء فى الصحيحين (إنى والله لأبصر من ورائى كما أبصر من بين يدى).
- ٨ - جواز الحلف بالله لتأكيد الأمر.

والله ولى التوفيق

محمد على عبد الرحيم

باب الفتاوى

يجيب على هذه الاستفتاءات

فضيلة الشيخ محمد على عبد الرحيم

الرئيس العام للجماعة

س - يسأل أحمد صابر من أسيوط عن حكم إطعام الطيور المنزلية بالرغم عنها يعنى (دك الحبوب فى فمها بطريقة التزغيط).

ج - هذه الطريقة فيها قسوة على الحيوان، ومن لا يرحم لا يرحم. والله تعالى يحب الرفق فى الأمر كله. والله أعلم

س - يسأل محمود على جابر عن مسجد أقيم على أرض مقبرة ثم سويت وأقيم عليها المسجد.

ج - مادامت المقبرة القديمة نبشت عظامها ، ولم يعرف منها أحد ثم سويت بالأرض، جاز قيام المسجد عليها. والدليل أن النبى ﷺ لما أقام مسجده بالمدينة كان بجوار الأرض المقام عليها المسجد مقبرة فنبشت عظامها وأضيفت أرض المقبرة إلى مسجد رسول الله ﷺ.

س - يسأل أبو المجد عبد العزيز إبراهيم من الحما بطما عن شق صدر النبى ﷺ فيتساءل عن صحة ذلك. وهل هو بعملية جراحية؟

ج - شق الصدر ثابت فى الأحاديث الصحيحة بمعرفة جبريل ومن معه من الملائكة بطريقة غير ما يجريه الأطباء بالعملية الجراحية كما يظن السائل. ولكنه عمل خارق للعادة من دلائل النبوة.

س - يسأل نجيب محمد زايد من أتميده بميت غمر ما موقف

الدين من الإخوة المتدينين، الذين يجاملون أبا لهم فى الاحتفال بزفافه - وذلك بإحاطتهم بالعروسين فى الشارع وإنشاد الأناشيد.

ج - طريقة الاحتفال بالزفاف فى الشارع بهذه الطريقة شىء محرم ولو كانت العروس محجبة. فيجب الالتزام بالسنة وهى أن تجتمع النسوة من نوات الأخلاق والدين فى البيت ولا بأس بالضرب على الدف مع بعض الأغنيات التى تخلو كلماتها مما يخالف الشرع مثل زفاف نساء الصحابة حيث كن يقلن.

أتيناكم أتيناكم .: فحيانا الله وحياكم

وهذا كله داخل البيت لا فى الشوارع والنوادى والمسارح والله أعلم.

س - ومن يحيى محمد أحمد عبد العزيز بالمساكن الاقتصادية بطلوان رسالة تتضمن ١٧ سؤالاً فى أمور مختلفة ولو أجبنا عليها لاستنفذت صفحات المجلة فننصحه وننصح غيره ألا يخرجونا بكثرة الأسئلة منها الغث والسمين ونجيب على أحد أسئلته: وهو لبس السلسلة للرجال.

ج - لبس السلسلة للرجال فيه تشبه بالنساء وهذا محرم.

س - كما نقول لمحمد السيد منصور من فاقوس بالشرقية: إنا لانستطيع الإجابة التفصيلية عن الفتنة الأولى فى أواخر عهد الخلفاء الراشدين وعليك بمرجع كتاب الخلفاء للسيوطى أو كتاب البداية والنهاية لابن كثير - كطلبك ذكر المراجع المهمة.

س - يسأل أحمد حسن إسماعيل بمجمع محاكم المنيا عن قوله تعالى (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) وما هى هذه الآيات التسع؟

ج - هى العصا واليد (التي تخرج بيضاء) والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، وانفلاق البحر - وكلها للدلالة على ثبوت وصحة نبوته.

أولياء الله

س - يسأل عبد السميع زهران من قورص أشمون منوفية: من هم أولياء الله؟ وهل أصحاب الأضرحة هم الأولياء؟

ج - أولا لابد من معرفة معنى كلمة (ولى): جاء فى كتب اللغة أن الولى هو النصير، والمحب والصديق، والحليف، والحافظ. وكل من ولى أمر أحد فهو وليه كالأب هو ولى ابنته، وكقوله ﷺ (لانكاح إلا بولى). ومن هنا يقال: الله ولى الذين آمنوا أى حافظهم وناصرهم ومعينهم، والمؤمن ولى الله أى مطيع لله تعالى .

وقال الراغب فى كتابه مفردات غريب القرآن:

١ - يقال للمؤمن هو ولى الله عز وجل .

٢ - وقال تعالى: والله ولى المتقين - والله ولى المؤمنين.

٣ - وقال تعالى: (ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا)

٤ - وقال تعالى (وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه)

فولاية الله للمؤمنين معناها: النصر. والتأييد، والتوفيق، واستجابة الدعاء فقوله تعالى (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون: وصفهم بقوله الذين آمنوا (صح إيمانهم) وكانوا يتقون).

وهذا كله فيه وصف للصحابة الذين أنزل القرآن فى عهدهم - فكانوا حقا أولياء الله، ينصرهم ويزكيهم ولايخذلهم - ثم يبشرهم القرآن بقوله تعالى (لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) فبشرهم الله برضوانه وبأن لا يخزيهم يوم القيامة وكل من تأسى بالرسول الكريم، وسار على نهج صحابته الكرام، فالآية الكريمة تبشره بأن لاخوف عليهم ولايحزنون. فإذا تولى العبد بموالة الله بالتوحيد الخالص والعبادة المشروعة وتخلق بخلق النبى الكريم عليه الصلاة والسلام، وكانت طعمته من حلال: والاه الله تعالى بالمغفرة والرضوان والنصر والتأييد - كما كان الصحابة يوالون الله بحسن العمل، فوالاهم الله بنصره - وهكذا.

فلا يشترط للولى أن يكون له ضريح أو قبة، فذلك ليس دليلا على ولايته، وإنما الولاية بالعمل الخالص لله. وهذا أمر يعلمه الله وحده، وحكم الناس على شيخ طريقة بالولاية أمر باطل لايقبله الشرع. وهذه الأضرحة والقباب ليست دليلا على درجة صلاح صاحبها. ولنا أن نقف منهم موقفا محايدا، خاليا من المدح أو الذم

- وقد قال تعالى (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم، ولا تسألون عما كانوا يعملون).

فمؤهل الولي أمر يعلمه الله الذي يعلم السر وأخفى. فإذا كانت القبة أو الضريح أو المقصورة من المؤهلات التي ترقى بصاحبها الى درجة الولاية فهذا غش وضلال لا يقبله الإسلام. وقد ترتب على البناء على القبور والأضرحة أمور لعن الله صاحبها كاتخاذ القبور مساجد، كما جاء في الحديث الصحيح (إن من شرار الخلق عند الله من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون على القبور مساجد) رواه أحمد.

وصارت القبور في المساجد فتنة للناس، فظنوا أن القبة، وإقامة الضريح من علامات صلاح المقبور. فلجأ الناس إليها يطلبون منها المنفعة أو دفع مضرة - وأعطوا حق الله تعالى الذي يملك الحول والطول، والنفع والضرر، أعطوا ذلك للمقبورين في الأضرحة الذين هم أموات غير أحياء وما يشعرون أيا ن يبعثون. وخشية من إفساد الدين، وتعلق قلوب الجهلاء بالأضرحة يسألونها من دون الله: حرم الله تعالى اتخاذ القبور مساجد. وما ترتب على ذلك من كسوة الأضرحة، وبناء القباب عليها، ثم جعلوا لها أعيادا تسمى موالد، يقدمون لها النذور، كل ذلك يفضى الى الشرك بالله تعالى. وللأسف الشديد: يقف الصوفية من هذه القبور موقف المؤيد لها، والمستنصر بها وأغلب هذه الأضرحة بالمساجد، هي لمشايخ الطرق، فقام مریدوهم ودرأویشهم بتخليد ذكراهم مشاققة لله والرسول.

وإليك بعض الأمثلة على الكرامات المكذوبة التي نسبوها لأوليائهم:

١ - قال دراويشهم: الأولياء هم أهل الكشف الذين يطلعون على اللوح المحفوظ ويتكلمون بالمغيبات. وهذا كذب. قال تعالى (قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله)

٢ - قالوا عنهم: هم الذين يطيرون في الهواء، ويمشون على الماء، ويتصرفون في الكون.

٣ - قالوا هم أهل الخطوة الذين يصلون في الكعبة ثم يعودون إلى بلادهم في لحظات وهكذا.

٤- قالوا: الولي هذا الذي اذا نذر له إنسان نذرا ولم يف به في موعده سلب عليه الأمراض والنكبات.

٥- وقال الشرنوبى في طبقاته: وردت عليه النيران، فرفضها برجله فصارت رمادا.

٦- وقال أيضا إنه صرخ على نار جهنم فأغلقت أبوابها وأنه سد أبواب جهنم بفوطة وأنه يجيب مریده إن ناداه ولو كان خلف جبل قاف. وإن الله تعالى قال له: قل أنا الله ولا تبالى.

هذه الكفريات مدونة في كتاب الطبقات للشرنوبى، فكيف هربت النار منه؟ وكيف رفضها فصارت رمادا؟ والله تعالى يقول: (إنها ترمى بشرر كالقصر، كأنه جمالة صفر). كيف بهذا الكذاب يرفض النار فيجعلها رمادا؟ ويقول إنه سد أبواب جهنم بفوطة؟ هذا المفتري على الله لا يصدقه إلا عباد القبور والله تعالى يقول (إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون).

٧- وقال الشعرائى في طبقاته (ومن كوامن الدسوقى أنه كان يتكلم بجميع اللغات عجمى وسريانى ولغات الوحش والطير، وأنه ضام فى المهد ورأى اللوح المحفوظ، وأن قدمه لم تسعها الدنيا) وغير ذلك عن البدوى شىء كثير وخرافات لا يصدقها العقل ولا يؤيدها الشرع.

إذن لا تدل القباب ولا الأضرحة إلا على كل ما يفضىب الله تعالى. ولعل هذا يكفى والله أعلم.

س - ويسأل حسان السيد عبد الرحيم الطالب بكلية أصول الدين بسوهاج عن أجرة سمسار الأراضى.

ج - أجرته حلال اذا كانت معتدلة، وإذا لم يكن غاشا للبايع أو المشتري، بل عليه أن يوضح للمشتري كل شىء فيما يراد شراؤه أو بيعه.

س - نقول للسائل ناصر سعيد الدسوقى من طنأمل الغربى مركز أجا دهلية: إذا ثبت أن زوجتك أخت لك من الرضاع بخمس رضعات مشبعات، وجب شرعا التفريق بينكما، ولا عبرة بشدة حبك لها أمام شرع الله. والله أعلم.

س - ويسأل حسن محجوب من المنذرة القبلية بالأسكندرية عن معنى الآية الكريمة (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم. فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً)

ج - هذه الآية فى الأوصياء. فإذا حضر قسمة التركة الفقراء من قرابة الميت واليتامى والمساكين من غير الوارثين، فاعطوهم شيئاً من هذه التركة تطيباً ل خاطرهم وقولوا لهم قولاً جميلاً. وأن يعاملوا اليتامى بمثل ما يريد الوصى أن يعامل به أبناؤه من بعده وأما ربط السائل بآية التوبة (ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها فى الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون) فلا صلة لها بآية الميراث السابقة، لأنها نزلت فى المنافقين الذين أنعم الله عليهم من الأموال والأولاد. أى لا يستحسن هذه النعم عليهم، لأن الله لا يريد بهم الخير إنما يريد أن يعذبهم بها فى الدنيا بالمصائب والنكبات.

س - يسأل محمد محمود حسن تاجر أقمشة بإدفو المحطة عن الحج عن الغير، وإذا حج رجل عن امرأة كزوجته المتوفاة هل يحرم كإحرام النساء أى لا يتجرد من ثيابه أو يحرم كإحرام الرجال بالرداء والإزار؟

ج - الرجل إذا حج عن غيره سواء كان رجلاً أو امرأة فليحرم كإحرام الرجال تماماً وله الحق فى أن يحج عنها ويعتمر.

س - يسأل قطب الدهشان من الجمالية بالقاهرة عن مجالسة النساء مع الضيوف من الرجال كما هو المتبع فى هذه الأيام.

ج - المتبع فى هذه الأيام ليس حجة - والإسلام يحرم مخالطة الجنسين، ولا بد من الحجاب عند سؤالهن. والله أعلم.

س - كنا قد كتبنا فى باب السنة بعدد صفر ١٤١٠ عن جلسة الاستراحة وكيفية وأسابها ثم كتب الينا الأخ أبو أحمد فارس مصطفى أشرف كنج من جدة يعترض على ما ذكرناه، محتجاً بما ذكره أحد العلماء المعاصرين من أن النبى ﷺ فعلها إماماً ومتنفلاً ونحن مع احترامنا للقارئ ولما اعتمد على قوله من العلماء الذين تربطنا به أوامر الأخوة والمودة وله منا مزيد التقدير، نقول: إننا نستمد معلوماتنا من مصادر الحديث والأئمة

الأقدمين الثقات، مجردين أنفسنا من دوافع التعصب لعالم معين، ومانشرناه مستمد من كتاب المغنى لابن قدامة وغيره، وهو عالم ثبت. وقد لاحظنا أخيرا ولاحظ غيرنا أن هناك مأخذ على ما يحققه فضيلة العالم المعاصر ولا داعى لذكر اسمه خشية التشهير. ولكن كبار العلماء بنجد يقفون أكثر منى على هذه المأخذ - والمهم عدم التعصب لرأى لم يأخذ به كبار المحدثين والأئمة السابقون - كما ينبغى أن ألفت الانتباه إلى أنى لم أنكر جلسة الاستراحة ولكن أردت تصحيح فعلها. فالمشاهد عند أكثر فاعليها أنهم يهتزون هزة خفيفة بعيدة عن الأداء الصحيح الذى يقضى بأن تكون الجلسة جلسة كاملة فيها الاستقرار كالجلسة بين السجدين . كما ينبغى القول بأن الصلاة صحيحة بدونها، وأن المصطفى ﷺ فعلها وأخذ بها الشافعية ولم يأخذ بها المالكية والأحناف، ومع احترامى لهذا النقد المستمد من المصدر السابق ذكره أمل ألا تكون هذه القضية، الخفيفة سببا يفضى إلى التعصب. والله ولى التوفيق (١).

لا يوجد فى الدين بدعة حسنة والأدلة على ذلك

س - يقول قطب عبد الحميد رجب من كحك بحرى بالفيوم فى رسالة له: يقسم العلماء البدعة إلى بدعة حسنة، وبدعة سيئة، بحجة أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه حينما اجتمع الصحابة لصلاة التراويح جماعة قال (نعمت البدعة) مع أن رسول الله ﷺ يقول (كل بدعة ضلالة) فارجو الإيضاح فى هذه المسألة.

ج - لما قال عمر نعمت البدعة كان ردا على من أنكر أداء صلاة التراويح فى جماعة، وعمر يعلم تمام العلم أنها من السنة وقد فعلها الرسول ﷺ قبل وفاته مرتين ثم كان الصحابة يؤدونها فرادى أو فى جماعات صغيرة، فاستحسن عمر أن يجمعهم على إمام واحد (كعب بن مالك رضى الله عنه) فصلاة التراويح جماعة لها أصل من فعل الرسول ﷺ ولم تكن بدعة أو حدثا جديدا ابتدع، ولكنه تجديد لسنة فعلها الرسول ﷺ.

(١) ونرجو أن تكون هذه الإجابة ردا - كذلك - على البحث القيم الذى قدمه لنا الأخ الفاضل السيد بن مختار بن سيلمان عن جلسة الاستراحة فى الصلاة. التحرير

ومن ثم لم يكن هذا الفعل بدعة مما نهى عنه الدين (كل بدعة ضلالة) أما استحسان بعض العلماء للبدع المستحدثة التي لم تكن على عهد الرسول الكريم كالجهر بالصلاة على النبي ﷺ عقب الأذان، وقراءة القرآن في افتتاح الحفلات، أو بناء المساجد على قبور الأولياء، أو زخرفة المساجد، وكتابة الآيات القرآنية على جدرانها، أو الترنيم والتلحين في الأذان وقراءة القرآن، أو حلقات الذكر (الرقص) بالمساجد، فكل ذلك من البدع التي ليس لها أصل في الدين. ومن هنا ينطبق عليها (كل بدعة ضلالة) لأنها فعلت على غير مثال فعل على عهد النبي ﷺ.

ويمكن توضيح السنة الحسنة لقوله ﷺ (من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة) ونقول كان مسجد رسول الله ﷺ يقصده أهل البداوة وليس فيه ماء للوضوء، فكان بعض الصحابة يأتي بماء في وعاء أو قربة ليتوضأ منه الغرباء - وبعد تقدم الزمن واستحداث وصول الماء في أنابيب إلى البيوت، كان من الخير إدخال المياه إلى المساجد لتوفير وسائل الطهارة لمن جاء المسجد بغير وضوء. فمثل هذا العمل ينطبق عليه قول النبي ﷺ (من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة) فالوضوء في المسجد ليس بدعة ولكن له أصل في الدين حيث فعله الصحابة، وأتوا بالماء على أبواب المسجد ليتطهر منه الغرباء. فتوفير المياه بالمساجد ليس بدعة حسنة، ولكن سنة حسنة يقرها الدين. والخلاصة: أن أي عمل في الدين لم يفعله رسول الله ﷺ وأصحابه، يجب الإعراض عنه لقوله ﷺ (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد).

ولما كانت البدع في الدين أخطر ما يكون على الإسلام، واختراع بعض العلماء لفظ بدعة حسنة، لإقناع العامة بالباطل، انحرف كثير من المسلمين عن سواء السبيل، وعمى عليهم دينهم الحق الأصيل، فما يفتح لهم الشيطان بابا من الضلال إلا ولجوه، ولا يزين لهم شيئا من البدع إلا اتبعوه، وما زال الخطر يستفحل والشر يتفاقم حتى عمّت الفوضى في الدين، وتعددت الطرق بالمنات، والكل يدعو إلى طريقته المستحدثة، البعيدة عن نهج أهل السنة والجماعة، وساعد على ذلك سكوت كثير من العلماء، أو إقرار

بعضهم لما حدث فى الدين من بدع . ولم نجد من أرباب الألسنة والأقلام من يهب للدفاع عن السنة الصحيحة، ومحاربة كل دخيل عليها. والتحذير الشديد من رسول الله ﷺ من البدع واستحسانها .. أمر واضح فى كثير من النصوص الصريحة. فمن ذلك قوله ﷺ (وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار) رواه أبو داود. وفى حديث العرياض بن سارية : (إنه من يعيش منكم فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ... الحديث) كما قال ابن عمر (كل بدعة ضلالة ولورأها الناس حسنة) - وقال ابن الماجشون سمعت مالكا يقول (من ابتدع فى الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدا خان الرسالة لأن الله يقول (اليوم أكملت لكم دينكم) فما لم يكن يومئذ ديننا لا يكون اليوم ديننا).

وليكن معلوما أن الرسول ﷺ قد انتقل الى ربه، وقد اكتمل الدين بقوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتى، ورضيت لكم الإسلام ديناً) فالعبادات كلها من الدين، يجب ألا تدخلها البدع كما دخل على الأذان وقراءة القرآن والذكر، وكما دخل الدين فى تنظيم الحياة فنظم السلوك، ودعا الى مكارم الأخلاق كالصدق، والأمانة، والصبر، والعفة، والتواضع، وحسن المعاشرة، ونظم حفلات الأعراس (الأفراح) والميائم، وحجاب النساء، وعدم اختلاط الجنسين، ووضع قواعد لسفر المرأة، وتربية الأولاد، كما شدد جدا على العدالة ونظام الحكم وغير ذلك من أمور الحياة التى لاتستقيم إلا بها - فكل ذلك من الدين - ويجب سد باب البدع عنها وإلا فسد الدين وفسدت الدنيا.

أما بدع العادات مما هو نافع فى الحياة، فالدين يقره ويحث عليه، كالمواصلات الحديثة، وتعبيد الطرق، ونظام الطعام كالأكل بالمعلقة والسكين ونحو ذلك. فهذه كلها عادات وهى من البدع المباحة، لأنها ليست من الدين.

وليكن معلوما أن من استحسّن البدع فى الدين فقد شرع، والتشريع لا يكون إلا من الله تعالى. ولعل فى هذه الإجابة، ما يكف من يردد للعامة قوله (بدعة حسنة) فمن دعا إليها فعليه وزرها

ووزر من عمل بها الى يوم القيامة (وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم) وقانا الله شر الابتداء فى الدين، وهدانا إلى صراطه المستقيم والله أعلم.

س - يسأل وليد حسين من وادى خوف فيقول: أنا مصاب بسلس البول فهل يجوز لى أن أكون إماما؟

ج - يلزمك بهذا العذر أن تتنحى عن الإمامة والله أعلم.

س - يقول أحد القراء من إحدى قرى أسيوط لم نستطع قراءتها لغموض الخط يقول جاءهم خطيب فقال: ان قبر الرسول ﷺ أفضل من السموات والأرض والعرش لأن قبر الرسول أقرب إلى الله من العرش.

ج - هذه مبالغة فى إطراء النبى ﷺ الذى نهى عنه بقوله الكريم (لاتطرونى كما أطرت النصارى عيسى بن مريم) ولا يصح للخطيب أن يسمع السامعين كلاما مكذوبا مثل هذا . فما سمعنا بهذا الكذب من أحد قبله - والله أعلم.

س - ويسأل عادل كمال جابر من عزبة سكيبة بالاسكندرية: هل تجوز صلاة الجنازة على المنتحر (قاتل نفسه)؟

ج - قاتل نفسه مات على الكفر بقضاء الله وقدره. وهو مخلد فى النار بنص الحديث. والنبى ﷺ لم يصل على قاتل نفسه كما جاء فى الحديث الصحيح.

س - ويسأل حسن عطية أحمد من بنى قره بأسيوط: ما الحكم إذا استيقظ الفرد وقت صلاة الفجر وكان جنبا، هل يصلى الصبح بالتيمم؟

ج - لاصلاة إلا بطهور والطهور فى حالة الجنابة هو الغسل. فإذا استيقظ العبد وكان البرد شديدا، وفقد وسائل التدفئة فله أن يتيمم أما إذا كان الوقود متوفرا فلا تصح الصلاة إلا بالغسل، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه أباح التيمم للجنب عند البرد الشديد مع الماء البارد الذى فقد صاحبه وسائل التدفئة. والله أعلم.

س - يقول طالب فى كلية دارالعلوم بالقاهرة: إن أحد الأساتذة قال إن المسح على الخفين أو الجوربين لا يصح فى البلاد المصرية بحجة أن الجو معتدل وليس بالبرد القارس.

ج - هذا اعتراض على تشريع الله تعالى على لسان نبيه . فالمسح على مايلبس فى القدمين لم يشترط خاصة لجزيرة العرب، ولكن تشريع الإسلام جاء لكل الدنيا حارة وباردة ومعتدلة. والمسح ليس رخصة ولكنه عزيمة وفى حديث المغيرة بن شعبه الوارد فى الصحيح وغيره أنه كان يصب الماء على رسول الله ﷺ فى الوضوء، ثم هم المغيرة بنزاع نعليه ليفسل رجليه فقال ﷺ (دعهما فإنى أدخلتهما طاهرتين) ومسح عليهما .

ومايلبس فى القدمين من الخفين (وهما مايستران الكعبين) وكذا النعلين وهما لهما شراكان كالصندل، وكذلك الجوربين، كل ذلك يجوز المسح عليه من غير مرض ولابرد. فقد ورد المسح على الخفين عن نحو ٤٠ من الصحابة، وورد المسح على الجوربين عن ٩ من صحابة رسول الله ﷺ منهم على وابن مسعود وأنس وابن عمر والبراء وبلال، وابن أبى أوفى وسهل بن سعد رضى الله عنهم. وذلك كما رواه أحمد وأبو داود والترمذى.

وقد جاء الدين بالحكمة النبوية (يسروا ولاتعسروا) وكما قال ﷺ (إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا ويسروا وقاربوا) رواه البخارى. ويجب على أمثال هذا الاستاذ ألا يفتى برأيه مع وجود النصوص - والله تعالى أعلم .

س - ويسأل علاء السيد فراج من مركز طهطا بسوهاج عن معنى قوله تعالى (رب المشرقين ورب المغربين)

ج - قال الراغب فى كتابه المفردات: - إذا قيل المشرق والمغرب بإفراد كل منهما دل على الشرق والغرب، وإذا قيل بلفظ التثنية فإشارة إلى مطلعى ومغربى الشتاء والصيف، وإذا قيل بلفظ الجمع فإشارة إلى مطلع كل يوم ومغربه، قال تعالى (رب المشرق والمغرب) وقال (رب المشرقين ورب المغربين) وقال (رب المشارق والمغارب) والله أعلم .

س - نقول للسائل عبد الباسط شاهين صقر من قرية الصنافين بالشرقية عن قراءة المأموم للفاتحة خلف الإمام - إننا نستمد الصحيح من أعلام الأئمة المحدثين، أما آراء بعض العلماء المعاصرين ففيها اجتهاد مشوب بالخطأ ونحيل من يعتمد على حديث (من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة) نحيله على تحقيق ابن حجر في شرحه (فتح الباري بشرح صحيح البخاري) فقد أورد البخاري أحاديث صحيحة تعارضت مع ما سبقها من الحديث، فتعتبر ناسخة لها - ومنها مارواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال (أرسلني رسول الله ﷺ أن أنادي في طرقات المدينة أن لا صلاة إلا بأمر القرآن . كل صلاة لا يقرأ فيها بأمر القرآن فهي خداج خداج خداج)

وأقول: ولماذا بعث رسول الله ﷺ أبا هريرة لينادي في طرقات المدينة بذلك؟ إن الرسول الكريم أرسله ليسمعه من يصلي بأهله في البيوت ولم يسكت حتى يأتيه الناس في المسجد فيبلغهم . ولكنه بادر بالبلاغ حينما نزل الوحي بقراءة الفاتحة للمصلي إماما أو مأموما أو منفردا. وإذا جاءت بعض الاجتهادات المذهبية بغير هذا فيجب ألا نتروك قول رسول الله ﷺ من أجل تحقيق جاء خطأ من أحد العلماء (بأيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله) والله أعلم.

س - يسأل سعد عبد الحميد من مركز المنشأة بسوهاج عن معنى (المكاء والتصدية)

ج - هاتان الكلمتان وردتا في الآية ٢٥ من سورة الأنفال، ونصها (وما كان صلاتهم عند البيت إلامكاء وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) ومعنى المكاء والتصدية أى التصفيق والتصفيق. ومعنى الآية كلها إظهار قبائح المشركين - أى ما كانت عبادة المشركين وصلاتهم عند البيت الحرام إلا تصفيقا وتصفيقا - وكانوا يفعلونها إذا صلى المسلمون ليخلطوا عليهم صلاتهم وبذلك وضعوا التصفيق والتصفيق مكان الصلاة والتقرب الى الله ليكيدوا للمسلمين بهذا العمل القبيح. والله أعلم.

ويسأل على إبراهيم عبد الكريم من قرية المغربى مركز العدوة بالمنيا: هل تقرأ الحائض القرآن، وهل يجوز للجنب أن يذكر الله؟
ج - ورد فى الصحيح أن عائشة قالت (كنت أتلو القرآن وأنا حائض) وهذا من سماحة السنة وتيسيرها على الحائض، لأن مدة الحيض الشهرية قد تمتد إلى ثلث شهر أو أكثر، فيتعرض القرآن للنسيان، فأجاز الإسلام للحائض قراءة القرآن حتى لاتنساه بعكس الجنب فلا يصح له قراءة القرآن وخاصة لأن الجنب يمكن أن يغتسل من الجنابة فوراً. ولن يزيد وقت الجنابة عن ساعات قليلة وإلا ضاع وقت الصلاة ويجوز للجنب أن يذكر الله: - كالتسمية، والاستعاذة وحمد الله بعد الشرب والاكل ونحو ذلك.

س - يسأل أحد الطلاب من المنيا عن صحة الحديث (من حج ولم يزرني فقد جفانى) ؟

ج - هذ الحديث سبق أن حققناه فى أعداد سابقة وهو حديث موضوع، لأنه يدل على أن من جفا رسول الله فقد كفر. وليس هناك ما يدل على أن من حج البيت ولم يزر مسجد رسول الله ﷺ يكون كافراً. فليتق الله أولئك الذين يتحدثون بالأحاديث الموضوعة.

س - يسأل سائل عن صحة الحديث (اطلبوا العلم ولو بالصين)

ج - هذا الحديث بهذا اللفظ غير صحيح - والصحيح (طلب العلم فريضة على كل مسلم) والله أعلم .

س - يسأل سائل من برمبال الجديدة بالدقهلية عن صحة ماورد أن النبى ﷺ أجاز لعائشة أن تسمع غناء جاريتين الخ.

ج - هو صحيح ويجب أن نعلم أن الجاريتين بنتان صغيرتان، وكانتا تغنيان لعائشة أشعارا تذكر البطولة فى الحرب وذلك فى يوم عيد. فما كانت المغنيتان بالغتين وما كانت الكلمات فيها ما يغضب الله تعالى وما كانت تصاحبهما الموسيقى.

هذا مايسر الله به وهو ولى التوفيق،

محمد على عبد الرحيم

بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

بقلم بدوى محمد خير

(٨)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه.

نمضى بتوفيق من الله سبحانه في الحديث عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقد تناولنا في سياق حديثنا عن الأسس التي يجب مراعاتها عند من يتصدون لأداء ذلك التكليف وتكلمنا عن خمسة منها. وفي هذا المقال نتناول الأساس السادس، وهو الصبر على أداء ذلك التكليف.

لقد سبق أن ذكرنا في المقال الخامس من هذه السلسلة أن النفوس جبلت على اتباع الهوى والبعد عن طريق الحق - إلا من رحم ربي - لأن الشيطان يتربص بها ليحقق ماتوعده به منذ رفض السجود لآدم كما أمره الله. ولقد نشأ تعاون وثيق بين شياطين الإنس وشياطين الجن على محاربة رسالات السماء والصد عن سبيل الله وسيستمر ذلك التعاون إلى قيام الساعة. ومن جراء ذلك يصيب الدعوة عنت شديد بدءاً من الصفوة الكرام من رسل الله ومزوراً بحملة ميراث الأنبياء ودعوة الحق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. وإن بعض الدعوة يغفلون عن هذه الحقيقة فتراهم إما أن يصيبهم القنوط فينصرفوا عن الدعوة، أو أن يدفعهم ذلك العنت إلى استعجال النتائج فتأتى النتائج على عكس مايرجون ويخرجون عن منهج الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة أملا في جنى ثمار دعوتهم. فإذا بهذا السلوك يكون وبالاً على الدعوة ويعطى الفرصة لأعداء الإسلام فيشوهون وجهه المشرق.

ومن البديهيّات التي يجب أن يضعها الدعاة أمام ناظرهم أن الصراع بين الحق والباطل قديم قدم البشرية وسيبقى إلى قيام الساعة وأن الأعوام لا تساوى شيئاً في عمر هذا الصراع، وتلك طبيعة الحياة الدنيا، فإنها تبقى ما بقيت فيها المتقابلات، صحة وسقم، فرح وحزن، سعادة وشقاء، صيف وشتاء، ليل ونهار، ظلمة ونور، فقر وغنى، قوة وضعف وهكذا الحق والباطل.

والذي نقوله ليس دعوة إلى اليأس والقنوط ولكنه لفتة إلى أن يكون الدعاة على بصيرة من حقيقة ما يقومون به وأن ما يحدث لهم لا يخرج عن ناموس الكون وطبيعة الحياة الدنيا وطبيعة الصراع الأزلي فيكون العلاج بل قل الوقاية من القنوط أو استعجال النتائج هو الصبر. وما على الداعية إلا أن يدعو قدر طاقته وليكن إيمانه بنصر الله يقينياً يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون. هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون» الصف ٨، ٩.

ولقد صادف رسول الله ﷺ وصحبه أهوالاً تشيب لها الولدان وما ذاك إلا شبيه بما لقيه إخوانه ممن سبقوه من الرسل الكرام. ولذا فإننا إذا أمعنا النظر في كتاب ربنا وفي القصص القرآني لوجدنا كيف يسرى الحق سبحانه عنهم ويمسح على تلك الجراح مما جعلهم يستعذبون تلك الأهوال في سبيل الله ويتسابقون إلى الشهادة. ونجد أن الضعفاء منهم قبل الأقوياء يعضون على دينهم بالنواجذ إزاء صلف وغرور صناديد قريش وزعمائها. فنرى الصبر في أبهى صورته. فهذا ياسر وزوجه سمية يعذبان حتى الموت، وذاك بلال يوقفه سادته ويلقونه عارياً في الرمضاء، وذلك عبد الله بن مسعود يُسْمَعُ وجهاء قريش القرآن فيضربونه حتى تسيل دماء وجهه، وليس مع الرسول ﷺ شئ يقدمه لهم سوى أنه

يأمرهم بالصبر. وكلما ازدادت المحن وعظم البلاء ينزل وحى السماء بخبر أحد الرسل السابقين على قلب الرسول ﷺ وعلى قلوب أصحابه فيكون خير زاد على ذلك العذاب. فهذا نوح عليه السلام أطول الأنبياء عمرا في الأذى والسخرية والاستهزاء. ألف سنة إلا خمسين عاما من العذاب ولا يجد سوى الاعتصام بالصبر. «مانراك إلا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل، بل نظنكم كاذبين» هود ٢٧ «أنؤمن لك واتبعك الأراذلون» الشعراء ١١١ «كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر» القمر ٩ «ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملا من قومه سخروا منه، قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون» هود ٢٨. ويستمر نوح عليه السلام في دعوته طوال قرون عشرة إلا قليلا إلى أن يأتي وحى السماء بذلك النبأ «وأوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون» هود ٣٦ وإزاء ذلك النبأ اليقين الذي يوحى بأنه لا فائدة من قومه بعد ذلك يتوجه إلى ربه بدعائه «فدعا ربه أنى مغلوب فانتصر» القمر ١٠ «وقال نوح رب لاتذر على الأرض من الكافرين ديارا» نوح ٢٦. فكان الانتقام من الكافرين مدمرا والنصر للمؤمنين جليا جزاء صبرهم. «ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر. وفجزنا الأرض عيونا، فالتقى الماء على أمر قد قدر. وحملناه على ذات ألواح ودسر. تجرى بأعيننا جزاء لما كان كُفرا. ولقد تركناها آية فهل من مدكر. فكيف كان عذابي ونذر» القمر ١١ - ١٦.

وهذا هود عليه السلام يتهمه قومه بالسفه والكذب «قال الملا الذين كفروا من قومه إنا لنراك فى سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين» الأعراف ٦٦ - فيكون الرد قولاً حسناً يبدو الصبر الجميل من سياقه «قال يا قوم ليس بى سفاهة ولكنى رسول رب

العالمين. أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين» الأعراف ٦٧، ٦٨ ويستمر معهم في الحوار ترغيبا تارة وترهيبا أخرى حتى يصل الجدل منتهاه بقوله «فانتظورا إني معكم من المنتظرين» الأعراف ٧١، وكان النصر مع الصبر «فأتجيناها والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا» الأعراف ٧٢.

وذاك صالح عليه السلام يلقاه قومه بكل سخرية واستهزاء له ولمن آمن به. وتصل السخرية مداها بقولهم «قالوا يا صالح اتتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين . فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين» الأعراف ٧٧، ٧٨ وكان ذلك جزاء وفاقا للكفرة والمعاندين وينجي الحق سبحانه عباده المؤمنين . «فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ» هود ٦٦

ولم يكن شعيب عليه السلام أقل سخرية واستهزاء ممن سبقه بل هُدد بالطرد والإخراج من البلدة هو ومن تبعه فيصبر ويحتسب ويجادلهم بالتي هي أحسن حتى يأتي نصر الله وينتقم من المكابرين. وهكذا بقية الرسل وقومهم.

وإن تكذيب القوم واستهزاءهم ليهون أمام تكذيب واستهزاء الأقربين فيطعن لوط من زوجته ونوح من زوجته وولده وإبراهيم من أبيه. ولذلك فإن الدأعية ليحتاج إلى جرعة كبيرة من العبر إزاء الأهل والأقارب. ولقد يكون الألم شديدا حين يكون التكذيب مصطنعا ويكون الكفر جحودا مثل قوم شعيب حين يقولون له (إنك لأنت الحليم الرشيد) ومع ذلك يتهمونهم بالكذب، وقوم صالح «قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا» أي أنهم لم يعدوا فيه غير الخير قبل الدعوة . وماذا إلا جحود ونكران كما يقول ربنا تبارك وتعالى عن فرعون وقومه (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا» النمل ١٤.

والقرآن الكريم يطيل عرض القصص فى مواقع كثيرة عن
الرسل السابقين للرسول ﷺ وفى كل موقع تعطى القصة عظة
وعبرة وتطامن من نفس رسولنا عليه الصلاة والسلام وتهدئ من
روح أصحابه. ويأتى أمر الله سبحانه مرارا يأمر بالصبر
« واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما
يمكرون » النحل ١٢٧ « واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين »
هود ١١٥ « فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع
الشمس وقبل الغروب » ق ٣٩ « واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا »
الطور ٤٨ « فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو
مكظوم » ن ٤٨. « فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل
ولا تستعجل لهم » الأحقاف ٣٥.

ولقد كان نصيب رسول الله ﷺ من السخرية والتكذيب من
قومه وإفرا « وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى
الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا. أو يلقى إليه كنز
أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا
مسخورا » الفرقان ٨.٧ « وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى
تملى عليه بكرة وأصيلا » الفرقان ٥ والآية التى قبلها « وقال الذين
كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون » الفرقان ٤
ولنتأمل فى هذه الآية والآية التى فى سورة ص « وعجبوا أن
جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب » ص ٤ فى
هاتين الآيتين يناقض هؤلاء الكفار أنفسهم لأنهم كانوا إذا قالوا
الصادق فإنهم يعنون به محمدا وإذا قالوا الأمين فلا ينصرف
الذهن إلا إلى محمد ﷺ فهو الملقب بينهم بالصادق الأمين. لكنه
حين جاء بالرسالة أصبح بين ليلة وضحاها كذابا وأفاكا. لماذا؟ لأنه
جاء بالدعوة إلى التوحيد « أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء
عجاب » ص ٥. بل إن واقع حالهم يكذب قولهم فحين تأمروا على

قتله وأذن الله له بالهجرة ونجاه من كيدهم كانت ودائعهم وأماناتهم فى داره ليلة الهجرة خلف عليها عليا رضى الله عنه ليردها إليهم. ولذلك كان عليه الصلاة والسلام يحزن حزنا شديدا من هذا الكذب فكان الحق سبحانه يطيب خاطره «فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون».

ولقد كان صلوات الله وسلامه عليه يضرب المثل فى الصبر لأصحابه ويتعهدهم بالنصح والحث على الصبر. فعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يقول «كأنى أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكى أن نبيا من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه وهو يقول: اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون» متفق عليه. وعن خباب بن الارت رضى الله عنه قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له فى ظل الكعبة فقلنا ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو لنا؟ فقال: قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له فى الأرض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد مادون لحمه وعظمه، ما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون» رواه البخارى.

والأمثلة كثيرة والحديث عن الصبر ذو شجون وعلى من يريد الاستزادة فليتأمل فى قصص الأنبياء فى الكتاب وفى سيرة النبى ﷺ والله سبحانه ينادينا «يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون» (آخر آل عمران) وللحديث بقية. والله من وراء القصد وهو يهدى السبيل.

بدوى محمد خير

جماعة أنصار السنة المحمدية بدراو

دفاع عن السنة المطهرة

بقلم: على إبراهيم حشيش

(٣٦)

فكر غريب فى الجامعة

لقد تعددت الرسائل من طلبة كلية الآداب جامعة المنصورة يسألون فيها عن صحة الأحاديث التى بنى عليها الدكتور إبراهيم ياسين مدرس الفلسفة بالكلية اعتقاده ويدرسه لهم فى محاضرات مقررة عليهم اتهم فيها شيخ الإسلام ابن تيمية بعدم قدرته على تذوق علوم القوم ويسألون عن مدى صحة تفسيره للآيات القرآنية التى يؤيد بها اعتقاده فى وحدة الأديان وغيرها؟ ويسألون عن مدى صحة مايزعمه الدكتور بأن لله صفة تسمى «الخيال الإلهى» وصفة أخرى تسمى «الذاكرة الإلهية» ومدى صحة الأحاديث التى استشهد بها على هذه الصفات؟

قلت: فى العام الدراسى الماضى حدث بجامعة القاهرة - كلية دار العلوم - ماحدث هذا العام بجامعة المنصورة - كلية الآداب حيث جاءت رسائل الطلاب تستبين الحق حيث قام الدكتور أحمد شلبى أستاذ التاريخ الإسلامى لعدم درايته بعلم الحديث بإنكار أحاديث البخارى للإسراء والمعراج لعدم تصديق عقله للبراق واستبعاده وجود الأنبياء ليلة الإسراء فى السموات، وإنكاره صفة العلو لله العلى الكبير، ولقد بيّنا فى «سلسلة الدفاع» أن

الأحاديث التي أنكرها الدكتور هي في أعلى درجات الصحة بل ومتواترة في الوقت الذي ملا كتابه «الموسوعة» بالأحاديث الباطلة والموضوعة وبيننا ذلك في ستة مقالات ثم رفعنا القلم عن الدكتور عندما تم - بفضل الله وحده - رفع تدريس كتاب الموسوعة عن طلبة كلية دار العلوم هذا العام.

قلت: وقبل أن ينتهي العام الدراسي الحالي وجدت أن الأمر يقتضى أن أترك الرد على فرية «تحريم النقاب» قليلا، لأردّ - إن شاء الله - على الدكتور ياسين استجابة لرسائل الطلاب حتى يتبين لهم الحق، ولو كان هذا الاعتقاد هو اعتقاد الدكتور وحده لتركته ونفسه لقول الله: «هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت وردوا إلى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون» (٣٠/يونس) ولكنه يُحمّل آلاف الطلاب اعتقاده ويتهم شيخ الإسلام ابن تيمية بعدم قدرته على تذوق علوم القوم . وحتى لا أظلم هذا الدكتور لم أكتف بما جاء في رسائل الطلبة بل قمت بإحضار المرجع الذي يحاضر منه وهو بعنوان «الفلسفة الروحية» وباقي كتبه فوجدت في صفحة (١٢١) من هذا الكتاب أن الدكتور وصف الله تعالى بصفات لم يصف الله بها نفسه ولم يصفه بها رسوله صلى الله عليه وسلم حيث يقول الدكتور: «ولو عدنا إلى الخيال العلمى الإلهى فى هذه القضية بالذات لوجدنا أن قضية الخلق أشبه بشريط سينمائى يحوى جميع تفاصيل القصة منذ البداية حتى النهاية، وهذا الشريط كان محفوظ (١) فى الذاكرة الإلهية وهذا الشريط لم يزود بجديد ولم ينقص قديم (١) ... فهى أشبه برواية ألفها مؤلف فى رأسه ثم كتبها فى كتاب، فالله قد أعطى الإنسان القدرة على التصور والخيال والإبداع فكان الخيال البشرى فرع

(١) نقلنا الكلام بنصه رغم ما فيه من أخطاء لغوية.

من الخيال الإلهي ولذلك يبدع الإنسان في رأسه ويحتفظ بإبداعه في عقله مثلما احتفظ الله بصور كل المخلوقات في اللوح المحفوظ ... ثم يستمر الدكتور في الكلام على صفة الخيال الإلهي التي افتراها على رب العزة سبحانه فيقول ص (١٣٢): عندما يتحدث ابن عربي عن الخيال فإنما يشير إلى الخيال الإلهي ... ويستند ابن عربي إلى حديث عن رسول الله ﷺ في حديث أورده في فصوصه في (فص حكمة نورية في كلمة يوسفية) يقول فيه: «إن الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا» انتهى كلام الدكتور وإن ظهرت بعض الأخطاء النحوية مثل كلمتي (محفوظ، وقديم) فقد حرصت على أمانة النقل كما جاءت في كتاب الدكتور.

قلت: انظر كيف سولت له نفسه الافتراء على الله:

١ - فقد شبه قدرة الله وعلمه وإرادته في خلق الخلق برواية ألفها مؤلف يظهر ذلك من قوله: «فهي أشبه برواية ألفها مؤلف في رأسه».

٢ - ويتمادى مفتريا على الله فيصفه بصفات لم يأت بها الكتاب والسنة المطهرة. يظهر ذلك من قوله: «وهذا الشريط كان محفوظا في الذاكرة الإلهية».

٣ - ويشبه أفعال الله في خلقه بشريط سينمائي يحوى رواية ألفها مؤلف. يظهر ذلك من قوله: «إن قصة الخلق أشبه بشريط سينمائي يحوى جميع تفاصيل القصة ... ثم يدار الشريط فتظهر المخلوقات».

٤ - ويتمادى في التشبيه والتمثيل لصفات الله يظهر ذلك من قوله: «ولذلك يبدع الإنسان في رأسه ويحتفظ بإبداعه في عقله مثلما احتفظ الله بصور كل المخلوقات في اللوح المحفوظ».

٥ - ثم يتمادى مفتريا على الله فيصفه بأن له خيال كخيال

البشر يظهر ذلك من قوله: «فكأن الخيال البشرى فرع من الخيال الإلهي».

قلت: هذا مبلغ الدكتور من علوم القوم تلك العلوم التي يقول عنها الدكتور إن شيخ الإسلام ابن تيمية لم تكن لديه القدرة على تذوقها.

يادكتور اعلم أن شيخ الإسلام ذاق حلاوة الإيمان فأمن بقول الله تعالى: «ليس كمثله شيء وهو السميع البصير» (١١/الشورى)، وبقوله تعالى: «ولم يكن له كفوا أحد» (٤/الإخلاص)، وبقوله تعالى «ولا يحيطون به علما» (١٠/طه)، وبقوله تعالى: «هل تعلم له سميا» (٦٥/مريم)، وبقوله تعالى: «فلا تضربوا الله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون» (٧٤/النحل).

قلت: يظهر ذلك من قوله في «العقيدة الواسطية» ص (١٦): «ومن الإيمان بالله، الإيمان بما وصف به نفسه من غير تحريف في كتابه، وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكيف ولا تمثيل».

قلت: يادكتور إياك والتشبيه والتمثيل فلا تظلم نفسك وتظلم الطلاب معك، وتذكر قول نعيم بن حماد شيخ البخاري: «من شبه الله بخلقه كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله تشبيه ولا تمثيل»

قلت: وقول الدكتور: «عندما يتحدث ابن عربي عن الخيال فإنما يشير به إلى الخيال الإلهي» ثم يقول: «ويستند ابن عربي إلى حديث عن رسول الله ﷺ يقول فيه: «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا».

قلت: ونسأل الدكتور من الذي أخبرك بأن هذا الحديث قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ لتسود به كتابك، وتتخذ سنداً

للباطل الذى تسميه الخيال الإلهى والذاكرة الإلهية. ألم تعلم يادكتور أن هذا الصنيع لا يصح إذا كان لعامة القراء لأنه تدليس، فكيف والحديث لطلبة جامعيين بل من المتخصصين ليكونوا مدرسين للغة العربية والتربية الإسلامية، فكانوا فى أشد الحاجة إلى البحث العلمى للحديث من التخريج والتحقيق ليقف هؤلاء الطلاب على درجة الحديث. فإذا كان الحديث باطلا فإن مابنى عليه يصبح باطلا، ولكن هيئات هيئات والدكتوراة التى أخذها الدكتور لاتشم رائحة هذا العلم ولو كانت تشم رائحة هذا العلم لما سود الدكتور حاشية كتابه بعزو الحديث لابن عربى فى كتابه «فصوص الحكم» (٩٩/١) هذا العزو الباطل الذى لا يقول به من يعرف أدنى قواعد التخريج . وإلى الدكتور التخريج والتحقيق لهذا الحديث :

الحديث: (لا أصل له) قال الحافظ العراقى فى «المغنى»: لم أجده مرفوعا. كذلك قال السبكى فى «طبقات الشافعية» (١٧٠. ١٧١/٤)، وبين السخاوى فى «المقاصد» ح (١٢٤٠): أنه ليس من كلام رسول الله ﷺ، كذا قال ابن الريبى فى مختصره «التمييز» ح (١٥٢٨)، كذلك بين القارى فى «المصنوع» ح (٣٧٧) أنه ليس من كلام رسول الله ﷺ. وكذلك قال السمهودى فى «الموضوعات» ح (٣١١) وكذلك العجلونى فى «كشف الخفا» (٤٣٢/٢) ح (٢٧٩٥) بين أنه ليس من كلام رسول الله ﷺ، حيث قال: «هو من قول على بن أبى طالب، لكن عزاه الشعرانى فى الطبقات لسهل التستري، ولفظه فى ترجمته: ومن كلامه الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا، وإذا انتبهوا ندموا، وإذا ندموا لم تنفعهم ندامتهم».

قلت: وحتى نسبة هذا القول إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه: لم يخرجها العجلونى وكذلك لم يحققها. ولم أقف عليه عن

على بإسناد، ولذلك فإن العراقي في «المغنى» جعله بصيغة المبني للمجهول حيث يقول: «وإنما يُعزى إلى علي بن أبي طالب»، والسخاوى في «المقاصد» ح (١٢٤٠) قال: «هو من قول علي بن أبي طالب في ..» وترك المكان على بياض، قال المعلق عليه: «بياض في الأصول»، والذين يعتمدون على السخاوى في عزوهم هذا القول إلى علي بن أبي طالب مثل ابن الديبع، والسهمودى لم يخرجوا ويحققوا هذا البياض .

قلت: وقول العجلونى: «لكن عزاه الشعرانى فى الطبقات لسهل التستري» قول بلا تخريج ولاتحقيق . وبالرجوع إلى «الطبقات الكبرى» (٦٦/١) للشعرانى وجدت أن الشعرانى أيضا عزاه لسهل التستري بلا تخريج ولاتحقيق.

قلت: وسند هذا القول لسهل بن عبد الله التستري في «طبقات الصوفية» ص (٢٠٧): حيث قال السلمى: سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله بن شاذان يقول: سمعت أبا صالح البصرى يقول: سمعت سهل بن عبد الله يقول: «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا وإذا انتبهوا ندموا، وإذا ندموا لم تنفعهم ندامتهم»

قلت: وهذا سند مظلم فيه محمد بن عبد الله بن شاذان أورده الذهبى في «الميزان» (٦٠٦/٣) برقم (٧٨٠٠) وقال: «صاحب تلك الحكايات المنكرة» روى عنه الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى: أوأبد وعجائب، وهو متهم طعن فيه الحاكم .

قلت : يادكتور هذا هو التحليل العلمى للحديث الذى تبين منه أنه ليس من كلام الرسول ﷺ والذى يجب أن يتعلمه الطلاب بدلا من أن تغتاب شيخ الاسلام ابن تيمية بعدم قدرته على تذوق علوم القوم وتجربى أنت بلا علم وراء أكاذيب نسجتها عناكب خيال ابن عربى الذى جعل لله مايسمى بالخيال الإلهى والذاكرة الإلهية، ودليل جريك وراءه بغير علم ولاهدى قولك: «ويستند ابن عربى إلى حديث عن رسول الله» فلو كان عند الدكتور دراية بهذا العلم لأنكر ذلك على ابن عربى وقال «ويستند ابن عربى إلى حديث مكذوب على رسول الله ﷺ» .

قلت: لقد سود الدكتور كتابه هذا وغيره بأحاديث باطلة ومكذوبة بنى عليها للطلاب أفكارا وعقائد باطلة ومكذوبة:

ألم تذكر فى كتابك «السفر إلى الله» (ص ١٢٩) حديث: «ماوسعنى أرضى ولا سمانى ولكن وسعنى قلب عبدى المؤمن» بغير تخريج ولاتحقيق مدلسا على الطلاب؟

ألم تذكر فى كتابك «الفلسفة الروحية» (ص ٢٩): «أن الزواج الذى يعد مطلوبا فى الظروف العادية، يصبح منبوذا فى حالة تكالب الناس على الشهوات» وتقول: «وهكذا يتغير حال المؤمن بتغير الزمن»

قلت: ويبنى الدكتور هذه الأفكار الخاطئة على حديث: «فإذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة ...» دون تحقيق للحديث وهذا الصنيع لايسمن ولايغنى من جوع عند طلاب فى كليات جامعية لا فى حلقات طرقية، بل هو أقرب إلى الغش والتدليس على الطلاب منه إلى نصحهم ونفعهم.

وسنقوم إن شاء الله فى دفاعاتنا القادمة بتخريج هذه الأحاديث وتحقيقها مع غيرها من الأحاديث التى سود بها كتابه وهى أحاديث غير صحيحة لها أثرها السيئ على الطلاب.

فيا دكتور: ارجع من قريب عن تدريس هذا المنهج ومايحملة من عقائد فاسدة وأحاديث مكذوبة فإن كنت لاتدرى ما العاقبة فأليك قول رسول الله ﷺ: «من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» حديث صحيح متواتر أخرجه البخارى (٢١/١) كتاب العلم، ومسلم (٦/١) وغيرهما.

وإن قلت: أنا قرأت فنقلت ماقرأت كما هو ظاهر من نقلك للحديث المكذوب على رسول الله من فصوص ابن عربى، فهذا الأسلوب فضلا على أنه لا يصلح فى المستوى الجامعى لخلوه من البحث العلمى الذى بيناه، يقول الرسول ﷺ متوعدا أصحاب هذا الأسلوب: «كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ماسمع».

فليرجع إليه الدكتور فى «صحيح مسلم» (١/ ٧٢ - نووى)

المقدمة، وليتق الله في هؤلاء الطلبة وليتذكر قول الله «واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون» (٢٨١ / البقرة)

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

على إبراهيم حشيش

بقية (أسئلة القراء عن الأحاديث)

س١٤: يسأل / إبراهيم على أحمد من الخور - أشمون - منوفية - عن صحة حديث «الخط الحسن يزيد الحق وضوحاً»

ج١٤: الحديث (ليس صحيحاً) أخرجه الديلمي في «مسند الفردوس» كما في «الجامع الصغير» للسيوطي وضعفه وأورده الذهبي في «الميزان» (٢/٣٥٨) وقال: «هذا خبر منكر»

س١٥: يسأل/ حلمي عبد المحسن خريص من البلايزة - أسيوط عن صحة حديث: «ما من رجل مسلم يموت، فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً إلا شفعم الله فيه»

ج١٥: الحديث (صحيح) أخرجه أحمد (١/٢٧٧)، مسلم (٢/٦٥٥) ح (٩٤٨)، أبو داود (٣/٥١٧) ح (٣١٧٠).

س١٦: يسأل / عزت عبد النعيم زكي شحيب - بمعهد أبو تيج الأزهرى - بأسيوط عن صحة حديث «لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله...»

ج١٦: الحديث (صحيح) أخرجه البخارى (٨/٤٩٨-فتح) ح (٤٦٨٨)، ومسلم (٣/١٦٧٨-عبد الباقي) ح (٢١٢٥) أبو داود (٤/٧٧) ح (٤١٦٩)، والترمذى (٥/٩٧ - شاکر) ح (٢٧٨٢)، والنسائى (٨/١٨٨) ح (٥٢٥٣) وابن ماجه (١/٦٤٠) ح (١٩٨٩)، أحمد (١/٤٦٢)، (٢/٢١) وللمتن ألفاظ أخرى وهذا اللفظ للبخارى.

س١٧: ويسأل / أحمد فتحى عبد العاطى الشويخ - بمعهد أبو تيج الأزهرى عن صحة حديث: «نهى عن قتل الضفدع للدواء»

ج١٧: الحديث (صحيح) أخرجه أحمد (٣/٤٥٣)، وأبو داود (٤/٧)، ح (٣٦٨) (٣٨٧١)، (٥٢٦٩) والنسائى (٧/٢١٠)، والحاكم (٤/٤١١) وقال: حديث صحيح الإسناد، ووافقه الذهبى، وهو كما قال.

على إبراهيم حشيش

هل الاختلاف رحمة؟

بقلم الدكتور إبراهيم هلال

كثيرا ما تُردد هذه العبارة (اختلافهم رحمة) وذلك أكثر ما يكون فى الأوساط العامية، ويقصد بهؤلاء المختلفين الأئمة الأربعة رحمهم الله: الإمام مالك، وأبو حنيفة، والشافعى وأحمد بن حنبل، ويقصد هؤلاء الذين يرددون هذه العبارة أن الله رحم المسلمين بجعل الأئمة الأربعة يختلفون فى أحكام الحلال والحرام فيما بينهم. ولكل شخص أن يختار ما يحلو له من آراء أحدهم أو أنه إذا اختار رأى الإمام مالك مثلا، ثم تبين أنه خطأ، وكان رأى أبى حنيفة يخالفه، وكان هو الصواب، فإن الله قد رحم هذا الشخص بمخالفة أبى حنيفة لرأى الإمام مالك. وجَهِل هؤلاء أن أئمة أهل الاجتهاد فى الفقه أكثر من أربعة، وأن منهم هؤلاء الأربعة المتقدم ذكرهم وغيرهم يزيد عليهم إلى ما يقارب المائتين أو يزيد فى أقطار العالم الإسلامى، وعلى مر تاريخ الإسلام وهذا من مظاهر خصوبة الإسلام.

هذا الاعتقاد فى هذه العبارة: (اختلافهم رحمة) كنا نظن أنه محدود فى دائرة العوام، أو أنصاف المثقفين، ولكن وجدناه أخيرا يدخل فى دائرة العلماء، فرأينا أحد السائلين يوجه إلى عالم مسئول فى إحدى الندوات فى استفتاء فى هذه العبارة: (هل صحيح ما يقول بعضهم: اختلافهم نقمة؟) فرد ذلك العالم قائلا: كيف يكون اختلافهم نقمة؟! إنما اختلافهم رحمة. وهذا الاعتقاد الأول خطأ، وإنما الصحيح أن اختلافهم رحمة. وكان قول كل إمام عنده وحى من الله نزل على قلبه كالأنبياء والمرسلين. ونسى هذا العالم أن قول كل إمام من المجتهدين معرض للخطأ والصواب وأن رسول الله ﷺ قال فى ذلك: (إذا اجتهد القاضى فأخطأ فله أجر، وإذا اجتهد فأصاب فله أجران). وفهم هؤلاء الأئمة من هذا الحديث

الشريف أن رسول الله ﷺ قد فتح باب الاجتهاد أمام العلماء، وأن كل مجتهد حين يبذل الوسع له أجر حسب جهده ونيته في إصابة الحق فإذا أخطأ فله أجر واحد وإذا أصاب فله أجران، فهو مأجور على كلا الحالين.

ولكن حرصاً منهم على أن لا يتحملوا مسئولية غيرهم، منعوا الناس من تقليدهم وأمروهم إذا كانوا علماء أن يجتهدوا مثلهم، وأن يعرضوا آراءهم على الكتاب والسنة، فما وافقهما قبلوه، وما خالفهما ردوه، وأن غير العالم حظه في ذلك أن يسأل العالم مع مطالبته بالدليل مع إجابته وأن يكون هذا نهج العالم دائماً، لا يجيب ولا يفتى إلا بتقديم الدليل مع إجابته، فقد روى عن الإمام مالك أنه قال: «إنما أنا بشر أخطئ وأصيب، فانظروا في رأيي: كل ما وافق الكتاب والسنة فخذوا به، وما لم يوافق الكتاب والسنة، فاتركوه». وقيل لأبي حنيفة: إذا قلت قولاً، وكتاب الله يخالفه؟ قال: «اتركوا قولي بكتاب الله» فقليل له: وإذا كان خيراً الرسول ﷺ يخالفه قال: «اتركوا قولي بخبر الرسول ﷺ». وروى عن الإمام الشافعي أيضاً أنه قال: «إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ فقولوا بسنة رسول الله ﷺ ودعوا ما قلت».

وهكذا يتبين لنا أن أئمة وفقهاء الإسلام، لا يرون رأياً فيما يخالف أصلى الدين: الكتاب والسنة، بل بعضهم ذهب، إلى أن رأى الصحابي مقدم على رأيه، ومنهم الإمام أبو حنيفة رحمه الله لأنه يرى أن الصحابي أخبر بسنة رسول الله ﷺ منه. وقد يكون أفضح منه في القرآن. ويروى من ترجموا للإمام أحمد أنه كان من المانعين للرأي المنفرين عنه وأنه قائل بما قالوه من أن الحديث مذهبهم.

وإذا كان الأمر كذلك، فما وجه القول بأن اختلافهم رحمة؟ فهل يعتقد هذا العالم القائل بذلك أن رأى كل منهم صواب، وإن تعدد في القضية الواحدة واختلف حسب اجتهادهم، وأنه من القداسة بحيث يعمل به أي إنسان يختاره، ويكون بذلك موافقاً للصواب!! إذا كان هذا العالم يقول بذلك، فليعلم أن الصواب واحد ولا يتعدد، وهو في جانب واحد منهم فقط وله أجران، والباقيون لهم أجر واحد على اجتهادهم، وعلى الناظر في أقوالهم أن يعرضها على الكتاب

والسنة وفى ذلك يقول الشوكانى: «... فمن قال إن كل مجتهد مصيب إن أراد أنه مصيب للحق فقد غلط غلطا بينا، فإنه جعل حكم الله سبحانه متناقضا متخالفا، لأنه إذا قال قائل هذا حرام، وقال آخر هذا حلال، كان حكم الله تعالى فى تلك العين عنده أنها حلال حرام. وهذا باطل من القول، وزائف من الرأى، وفساد من النظر، فإنه مع كونه باطلا فى نفسه يتنزه الله عز وجل عنه، هو أيضا خلاف ما عند أهل العلم» (١).

ومن هنا فليس اختلاف العلماء المجتهدين رحمة لأن ذلك ليس أكثر من مظهر اجتهادى بين العلماء اتبعوا فيه كتاب الله وسنة رسوله، كما أنه ليس نقمة، لأنه لا يوقع أحدا فى الحيرة والبلبلة. فالعلماء المجتهدون يخضعون فى اجتهادهم لكتاب الله وسنة رسوله، وغير المجتهدين يتبعون من آراء العلماء المجتهدين ما اقترون بالدليل من الكتاب والسنة، أو هما معا. والمسلم عامة يجب أن يكون متفقا فى دينه بحيث يكون له حاسة إدراك الصلة بين رأى العالم ودليله، أو يستعين فى ذلك بمن هو أفقه منه.

وليكن فى علمنا أن هذا الاختلاف بين علماء الاجتهاد. إنما هو فى الفرعيات والجزئيات والحالات التى تجد وتحدث فى حياة الناس المتجددة. أما بالنسبة للأصول فى العبادات والمعاملات فلا يقع بينهم اختلاف فيها لأنها منصوص عليها فى الكتاب والسنة، وهم متعبدون بالكتاب والسنة كما تقدم.

فالكل أمام الكتاب والسنة متعبد بهما ملتزم بنص ما جاء فيهما وأما بالنسبة لاجتهادات أئمة الأمة من علماء الاجتهاد، فالناس فيها كما تقدم غير ملزمين بها إلا إذا كانت مؤيدة بالدليل من الكتاب والسنة. وفى ذلك يقول الشوكانى: «وها هنا نكتة ينبغى التنبه لها من كل أحد من أهل العلم، وهى أن لفظ الشريعة إن أريد به الكتاب والسنة لم يكن لأحد أن يخرج منه، ولا يخالفه بوجه من الوجوه، وإن أريد به حكم الحاكم فقد يكون صوابا، وقد يكون خطأ كما بينه رسول الله ﷺ فى الحديث السابق: (إذا اجتهد القاضى). وقد غلط كثير من الناس فجعلوا الشريعة شاملة

(١) قطر الولى على حديث الولى للإمام الشوكانى الطبعة الأولى من ٣٢٤.

للقسمين، وما أقبح هذا الغلط وأشد عاقبته وأعظم خطره) (١).

وبهذا فقد وضع لنا أنه ليس فى الإسلام مذاهب، وأن اختلاف العلماء هذا ليس معناه المذهبية أو أن لكل أحد من الناس أن يتبع أحد العلماء، أو يتبع مذهبهم!!! فما تقدم من قبل فى تاريخ الفقه الإسلامى من اتباع الكثيرين للعلماء الأربعة أو غيرهم وتسمية أرائهم مذاهب ليس له أصل فى الإسلام. وما تقدم من آراء الأئمة الأربعة، يرد هذا التمهيد ويبطله، وأن هؤلاء الأئمة - رحمهم الله - بريئون من هذا التمهيد ويرفضونه.

وفى هذا مايقوله الشوكانى: «وإذا تقرر لك إجماع أئمة المذاهب الأربعة على تقديم النص على أرائهم عرفت أن العالم الذى عمل بالنص وترك قول أهل المذاهب هو الموافق لما قاله أئمة المذاهب، والمقلد الذى قدم أقوال أهل المذاهب على النص هو المخالف لله ولرسوله وإمام مذهبهم ولغيره من سائر علماء الإسلام» (٢).

هؤلاء هم الأئمة الأربعة - رحمهم الله - وهم وغيرهم من علماء الاجتهاد فى الإسلام لا يرون لأرائهم قداسة تلزم الناس باتباعها، بل توسلوا إليهم أن لا يقلدوهم وأن يقيسوا آراءهم على كتاب الله وسنة رسوله. فهم بهذا يرفضون المذهبية التى ألصقها بهم مقلدوهم، ومن ادعوا الانتماء إليهم، فليست آراؤهم تصعد إلى أن تكون تشريعاً حتى يمكن لبعض الناس أن يحتذى برأى هذا أو ذاك، ويردد بناء على ذلك تلك العبارة التقليدية التى اخترعها المقلدون أو العوام وشاعت فى بيئة التقليد: (اختلافهم رحمة)، وإنما هذه الآراء والاجتهادات تعليم وتوجيه للمتخصصين والمجتهدين نحو استخلاص الأحكام من كتاب الله وسنة رسوله.

إبراهيم هلال

(١) قطر البولى على حديث البولى للإمام الشوكانى ص ٢٦٦ .

(٢) القول المفيد فى أدلة الاجتهاد والتقليد ص ١٢٩ تحقيق د . إبراهيم هلال طبعة

دار النهضة العربية، القاهرة سنة ١٩٧٩م